

الحكمة المذنب

كتاب

الإله الكبير

نبيج

عبد بن المقفع

نابغة كتاب العرب والفرس

وغنى نفسه غريبه وتفسيره

محمد بن نائل البرصفي

حقوق الطبع محفوظة له

نقص بيعه - مصطفى محمد لكتي - بالقاهرة

﴿ فهرس المقدمة ﴾

صفحة	
٣	الحكمة المدنية
٤	اسم الكتاب
٤	معاني الكتاب
٥	العناية بطبع الكتاب
٦	فضل زكي باشا على الكتاب
٦	تقدير عمل الباشا في الكتاب
١١	عقبنا على الباشا في احتكار الكتاب
١١	مقدمة زكي باشا للكتاب
١٤	عنايتنا بالكتاب

فهرس الادب الكبير

رقم	صحيفة	
١	١	مطلب في فضل الاقدمين
٤	٢	» في الحث على تعرف أصل العلم وفضله
		المقالة الاولى في السلطان
٨		الباب الاول في آداب السلطان
٨	٣	مطلب في ان صاحب الامارة لا ينبغي له أن يعني الابعامها
١٠	٤	» فيمن ينبغي للوالي أن ينال رضاه
١١	٦	» » يجب أن يكونوا بطانة وأصفياء
١٢	٦	» في ان رضا الناس غاية لا تدرك
١٣	٧	» فيما ينبغي للسلطان نحو اصفياه وسائر رعيته
١٤	٨	» في الحث على احوال نصيح النصيح وعذله
١٥	٩	» في ان السلطان لا ينبغي له ان يعني بغیر الخطير من الرجال والاعمال
١٦	١٠	» في تحذير السلطان من الافراط في الغضب والسرع في الرضى
١٧	١١	» في أنواع الملوك
١٨	١٢	» في التحذير مما لم يبين على حزم من اعمال السلطان
٢١	١٣	» في حرض السلطان على التوثق من رأى الاعوان قبل الاقدام
٢٢	١٤	» في تحذير السلطان من أمانات الرذائل : الغضب والكذب والبخل وكثرة الخلف
٢٣		» في ان لا عيب على الملك أن يلهو اذا وثق من تدبير مملكه
٢٣	١٦	» في ان احق الناس باتهام نظره بعين الريبة السلطان
٢٤	١٧	» في حرض السلطان على الامعان في تفقد أمر رعيته



تابع القهرست

رقم	صحيفة	
٣٧	٤٧	مطلب في كتمان ما تكرهه من رأى السلطان
٣٨	٤٨	» » حث الوزير على تصحيح النصيحة
٣٩	٤٩	» في ان الطالب لصحبه الملوك لا يفلح حتي يشابههم وبما لهم
٤٠	٥٠	» في مضار صحبة السلاطين
٤١	٥١	» في التحذير من الاغترار بالسلطان والمال والعلم والجاء والشباب
		المقالة الثانية في الاصدقاء
٤٢	٥٢	مطلب في معاملة الناس
٤٣	٥٢	» في تحذير المرء من اتحاله رأي غيره
٤٤	٥٣	» في الحض على تخير المواضع لرأيك
٤٥	٥٤	» في تجنب الهزل ولو كان مزاحا ما لم تكبت به عدوا
٤٦	٥٥	» في ان لا خوف عليك من أخى الثقة أن يخاطب العدو
٤٧	٥٦	» في التحفظ من الصديق المقبل بوجه
٤٨	٥٦	» في ان الدعى لا محالة مفضوح
٤٩	٥٩	» في ان واجب المرء نحو عدوه العدل ونحو صديقه الرضاء
٥٠	٥٩	» في الثبات من الصديق قبل الاقدام عليه
٥١	٦١	» فيما ينبغي للعاقل أن يسلكه ازاء العامة والخاصة
٥٢	٦٢	» فيما ينبغي للعاقل أن يغلبه على لسانه
٥٣	٦٣	» في الحض على مؤاساة الصديق عند النوائب
٥٤	٦٣	» ينبغي لصديق السلطان ألا يدل عليه يقدمه

تابع الفهرست

رقم	صحيفة	
٥٥	٦٤	مطلب فيما يجوز أن تعتذر اليه أو تحمده
٥٥	٦٥	» في الحرص على اتخاذ الاخوان وتعهد المعروف
٥٦	٦٦	» في أن إحياء المعروف بنفسياته والتصغير له
٥٧	٦٦	» في علاج انفعالات النفس والاحتراص منها
٥٨	٦٨	» في الصبر على من يلازمك وبيان أنواعه ومعناه
٥٩	٦٩	» في ترغيب النفس في العلم وبيان الانفع منه
٦٠	٧٠	» في أقسام السخاء وتحبيب النفس اليه
٦١	٧١	» في ذم الحسد وذكر ما ينتجى منه
٦٢	٧٢	» التعذير من أن تكاشف عدوك أو حاسدك بدخيلة نفسك
٦٣	٧٢	» في مكافأة العدو وبيان الحيلة في تفريق الناس عنه
٦٤	٧٣	» في الحظ على الوصول الى مثالب العدو وكتمها عنه
٦٥	٧٤	» في الحظ على كتمان دهائك عن الناس
٦٦	٧٥	» في أحوال الاعداء وبيان السبيل التي تصل بك الى قهرهم والغلبة عليهم
٦٧	٧٧	» دواء ما يستعصى عليك اصلاحه من أدواء نفسك
٦٨	٧٨	» في أن ما في نفسك تظهر آثاره عليك اذا فوجئت به
٦٩	٧٨	» في ذم الغرام بالنساء والتحذير منه
٧٠	٨١	» فيما يدعو الى تمظيمك وتوقيرك ودوام مجدك وشرفك
٧١	٨٢	» في ذم المراء والتحذير منه
٧٢	٨٣	» في أن لا راحة من كثرة الاعمال إلا بالفراغ منها

تابع الفهرست

رقم	صحيفة	
٧٣	٨٤	مطلب في ذم تجاوز الحد
٧٤	٨٥	» في الحرص على ما يروءك ويعجب غيرك
٧٥	٨٧	» في العفو عن الناس وعدم مجازاة السفية
٧٦	٨٨	» لا تصاحب احدا من الناس الا بالمروءة وان كان ذادالة عليه
٧٧	٨٩	» في التحذير من أن تخدع باكرام من يكرمك لجاء أو منزلة
٧٨	٩٠	» في ذم الجبن والحرص
٧٩	٩١	» الاحتراس مما يعتري الاخلاق الكريمة من الآفات
٨٠	٩٢	» مخالفة ما يكون أقرب الى هواك
٨١	٩٢	» في آداب المجالسة
٨٢	٩٥	» في بيان أن المستشار ليس بضامن وجه الصواب
٨٣	٩٦	» في الحرص على الاستماع

الحكماء المذنبين

كتاب

الأدب الكبير

مجمع

عبد بن المقفع

نابغة كتاب العرب والفرس

ومنى بفضله وغريبه وتفسيره

محمد بن النضر

حق الطبع محفوظة له

حق بيت - مصطفى محمد لكتي - بالعمارة

حياة ابن المقفع

اقرأ حياة ابن المقفع في كتاب (كيلة ودمنة) طبعة
(المرصفي) تجدها وافية شافية

وها هي ذي عناصر البحث الذي دون هناك

مصدر النبوغ — عصر ابن المقفع — براعته في
الكتابة — الكتابة العربية في عصر ابن المقفع — الأساليب
المستحدثة في عصره — أسلوب ابن المقفع — زهده في
السجع — سهولة لفظه — حرصه على الإيجاز — إقلاله من
الترادف — الحاجة إلى الترجمة في عصر ابن المقفع — نبوغه
في الترجمة — عنايته بالحكم والأخلاق — أثر الآراء
الاجتماعية في السياسة والمقائد — الزندقة بين المسلمين —
ديانة ابن المقفع — أثر الانتقال الاجتماعي في المقائد — شرعة
أدبي الأموية والعباسية — سيرة ابن المقفع — حرصه على
الوفاء — مقتله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ نَسْتَفْتِحُ الْقَوْلَ ، وَبِحَمْدِهِ
نَسْتَمْنَحُهُ الْحَوْلَ وَالطَّوْلَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
أَمَّا بَعْدُ فَمِنْ هَذِهِ كَلِمَاتٌ فِي (الْحِكْمَةِ الْمَدَنِيَّةِ) تَلْفَحُهَا

١. اعتاد الأولون : من العرب واليونان أن يقسموا الفلسفة أربعة أقسام
(أولها) الفلسفة الطبيعية ، أو العلم الأدنى ، ويبحثون في هذا القسم
عن الأجسام الطبيعية وما يتألف منها من الصفات

(الثاني) الفلسفة الرياضية ، أو العلم الأوسط ، ويبحثون في هذا القسم
عن الأشكال ، والسطوح ، والعدد ، وما لها من الخواص ، وما بينهما من النسب
(الثالث) الفلسفة الإلهية ، أو العلم الأعلى ، أو العلم الكلي ، ويبحثون فيه
عن الإله وصفاته ، وعن الوجود وما يشابهه : فمن الأمور التي تعم الكون كله
(الرابع) الفلسفة الأدبية ، أو العملية ، وهي عندهم ثلاثة أقسام :
أولها الأخلاق ، وفيه تدبير نفس الفرد

الثاني : تدبير المنزل ، وفيه سياسة الأسرة
الثالث : السياسة ، أو الفلسفة المدنية ، وفيه تدبير الأمة أو المدينة ، وبيان
ما بين أفرادها : من الروابط ، والأواصر ، والقواعد التي ينبغي أن يقوم
عليها الاجتماع

وهذا النوع بطبيعته منقسم إلى نوعين ، فإن البحث إما أن يتصل
بما بين الأفراد أنفسهم من الصلات ، أو بما بينهم وبين الحكومة منها
وإذا كان كتاب (ابن المقفع) لا يتجاوز في جميع حكمه وقضاياه
هذين النوعين فلا جرم كان اسم (الحكمة المدنية) أوفق الأسماء
له ، وأدناها عليه

الناسُ أجيالا ، وتناقلوها أحقابا ، وقتن بها الكاتبُ الأديب ،
والناقد الأريب ، إذ كانت تذيبُ يرَاعَة زعيم المنشئين ،
وقدوة الكاتبين (عبد الله بن المقفع) ذلك الذي دان له
النقاد بالبراعة في تحقيق الحكمة البالغة ، وتحرير الموعظة النافعة
اسم الكتاب

وسموها (بالذرة اليتيمة) مرة ، ثم (بالأدب الكبير)
أخرى ، ولها من كثرة التسميتين أوفر نصيب ، فليس لاختلافهم
إذا فائدة : يُعدُّ الاغراضُ عنها ضربا من البخل على القارئ
بتحقيق الاسم ، أو نوعا من التخصيص في تمحيص العنوان
بل إن أقل ما يفيد هذا الاختلاف إنما هو تقوية
حجة القائلين بأن التسمية لم تكن من قبل (عبد الله) نفسه
وإنما هي من عمل من جاء بعده ، وهو الذي نختار
ونظمنا إليه

معاني الكتاب

وأما ما جاء بهذا السفر من الخواطر - وإن لم تختص

بَفِئَةٍ دُونَ فِئَةٍ ، وَلَمْ تُقَصِّرْ عَلَى إِقْلِيمٍ دُونَ إِقْلِيمٍ - فَإِنَّا نَرَاهَا
مَنْقُولَةً كَلَامًا عَنِ الْفُرْسِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ (الْبَاقِلَاتِي) فِي
كِتَابِهِ (الْإِعْجَازِ) وَإِلَّا فَلَنَنْتَقِلَ فِيهَا صِبْغَةً وَاضِحَةً وَأُتْرَجَلِي
وَسَوَائِي أَصَحَّ نَقْلُهَا عَنْ قَوْمِهِ ؛ أَمْ كَانَتْ مِمَّا دَلَّتْهُ عَلَيْهِ بِصِيرَتِهِ ،
وَأَوْحَتْهُ إِلَيْهِ قَرِيحَتُهُ ؛ فَانْهَاجَ النَّاسَ مَصْدَرُ خَيْرٍ كَبِيرٍ وَفَضْلٍ كَثِيرٍ

العناية بطبع الكتاب

وَلَمَّا عَرَفْنَا لِهَذَا السَّفَرِ فَضْلَهُ ، وَأَدْرَكْنَا خَطَرَهُ فَقَدْ عَرَفْنَا
غَيْرَنَا مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَطَّيْعُهُ وَنَشْرُهُ ، رَغْبَةً فِي الْآدَابِ ، وَحِرْصًا
عَلَى آثَارِ الْأَوَّلِينَ مِنْ نَوَابِغِ الْأَدْبَاءِ ، وَأَفْذَازِ الْحُكَمَاءِ
غَيْرَ أَنَّ الَّذِي نُشِرَ مِنْ هَذَا الْمَطْبُوعِ بَيْنَ النَّاسِ لَمْ يَمْنَعْنَا
أَنْ نُلْقِيَ هَذَا الدَّلْوَيْنِ بَيْنَ الدَّلَاءِ ، فَقَدَرْنَا بَيْنَ قَلِيلِ الثَّمَنِ - وَلَكِنَّهُ
رَدِيَءُ الطَّبْعِ - لَا يُغْنِي الطَّالِبَ غَنَاءً ، وَلَا يَنَالُ مِنْ نَفْسِهِ رِضَاءً
وَبَيْنَ جَيِّدِ الطَّبْعِ ، مُحْكَمِ الْوَضْعِ - وَلَكِنَّهُ كَثِيرُ الثَّمَنِ
قَدْ حَازَ رِضَى مَنْ نَظَارَةَ الْمَعَارِفِ ، وَنَالَ قَبُولًا مِنْ جُمْهُورِ الْقَارِئِينَ
وَكِتَابُ هَذِهِ خَصَائِصُهُ خَلِيقٌ بِمَا ظَفِرَ بِهِ مِنْ حُبٍّ ،

حُرِّيٌّ بِمَا حَظِّيَ لَدَيْهِ مِنْ ثِقَةٍ ، مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ تَعْمَّ الْفَائِدَةُ
مِنْهُ ، وَيَكْثُرَ الْإِنْتِفَاعُ بِهِ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَالْمُتَرَبِّينَ
فَضْلُ زَكِيِّ بِاشَا عَلَى الْكِتَابِ .

وَلَا سِيَّمًا أَنَّهُ يَدُّ لَذَلِكَ الْبَحْثُ النَّشِيطُ (الْأُسْتَاذُ أَحْمَدُ
زَكِيُّ بِاشَا ، كَاتِبُ أَسْرَارٍ ، مَجْلِسُ النَّظَارِ)

ذَلِكَ الَّذِي عُنِيَ بِتَجْوِيدِ طَبْعِهِ ، وَإِصْلَاحِ لَفْظِهِ ، وَشَرْحِ
غَرِيبِهِ ، وَتَحْرِيرِ مَعَانِيهِ . وَهُوَ فَوْقَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَخُلْ مِنْ كَثِيرِ
الْخَطَايَا وَالتَّصْحِيفِ ، وَمِنْ جَمِّ السَّهْوِ وَالتَّحْرِيفِ : مُتَجَاوِزًا
عَنَابَةً : مَا كَانَ أَشَدَّهَا ؛ وَحِرْصًا مَا كَانَ أَقْظَاهُ !

تَقْدِيرُ عَمَلِ الْبَاشَا فِي الْكِتَابِ

وَإِنَّا لَنُظَلِّمُ (سَعَادَةُ الْبَاشَا) إِذَا لَمْ يَنْلِ مِنْهَا اعْتِرَافًا لَهُ
بِالنَّصَبِ فِي سَبِيلِ الْبَحْثِ ، وَبِالْعَنَاءِ وَالْمَشَقَّاتِ وَرَاءَ التَّحْقِيقِ
فَلَقَدْ عَرَفْنَاهُ يَجُوبُ الْفَقَارَ ، وَيَقْطَعُ الْبَحَارَ ، وَيَسْهَرُ
الَّيْلَ وَيَكِدُّ النَّهَارَ : سَعِيًّا وَرَاءَ أَمَانِيهِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ - وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ - إِلَّا عِلْمِيَّةً فِي مَحْضِ الْإِخْلَاصِ

وَحَسْبُهُ مَا أُتِيَ بِهِ مِنْ مَكَاتِبِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ،

وَشَرَعَتْ نِظَارَةُ الْمَعَارِفِ فِي طَبْعِهِ مِنْذُ حِينِ

ذَلِكَ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ : كَمَا أَنَّهُ لَا مَسْحَةَ لِلْمُرَآءَاةِ عَلَيْهِ

وَكَيْفَ ؟ وَلَمْ أَعْلَمْ مِنْ ذَوِي الْمَشْرِقَةِ وَالْمِشْرِائَةِ ، وَلَا مِنْ أَهْلِ

الْخُبْرَةِ وَالْبَصِيرَةِ مِنْ أُوتِيَ صَبْرُهُ عَلَى الْبَحْثِ ، وَجَلَدَهُ فِي

التَّنْقِيبِ ، وَلَا مِنْ قَرَّيبٍ لِلْعِلْمِ هَذِهِ الْقَرَابِينَ مِنَ الْوَقْتِ

وَالنَّفْسِ وَالْمَالِ

لِهَذَا الْبِطَاطَةُ الْمَحْقُوقَةُ شَدِيدُ الرَّغْبَةِ فِي التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ

وَفِي الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ : قُلُّ أَنْ يُجَارِيَهُ فِيهَا غَيْرُهُ مِمَّنْ نَهَجَ هَذِي

الطَّرِيقَ فِي خِدْمَةِ الْعِلْمِ وَآلِهِ ، حَتَّى لَقَدْ يَخْرُجُ الْكِتَابُ مِنْ

بَيْنِ يَدَيْهِ كِتَابَيْنِ ، وَالْفَنُّ فَنَيْنِ . وَلَا لَوْمْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَلَا

تَثْرِيبُ . فَإِنَّ لِلْبَحْثِ نَزْعَةً لَا تَتَّفِقُ وَالْإِخْتِصَارَ فِي سَبِيلِ ،

وَلَا تَلْتَمِمْ مَعَ الْاِقْتِصَادِ فِي طَرِيقِ

عَلَى أَنْ أَيْسَرَ مَا نَسْتَنْبِطُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَعْمَالِ إِنَّمَا هُوَ خَصْلَةٌ

مِنْ أَجْلِ الْخِصَالِ فِي عِظَمَاءِ الرِّجَالِ : تِلْكَ أَنْ تَقْصِدَ طَلَّاعَةً إِلَى

الغاية ، نزاعة إلى الكمال « وإن كان الكمال لله وحده ،
لا يشاطره إياه نِدٌّ ، ولا يُنازعه فيه شريك »

لذلك تراه في نسخته ^١ التي نشرها لم يقتصر في جدول
الخطأ والصواب على ما ليس له مُتَنَفِّسٌ من تأويل ، ولا
مُتَسَرِّبٌ من تخريج . بل تراه يترك الشك إلى اليقين ، ويجتاز
الفصيح إلى الأوضح : شأن المستشرقين في تحقيق مباحثهم ،
والمجاهدين في تمحيص آرائهم

وليس أدلّ على ذلك من هذا الجدول الذي أثبت فيه
تحقيقاً ونفى تأويلاً ، وأتى بآية ونسخ آية ، حتى بلغت صفحات
الخطأ والصواب عشرة ^٢ ، حاشا الاستدراكات ، فقد ابثنى لها
فصلاً ^٣ آخر ذيل به الكتاب الذي لم يَمَلَأْ بعدُ (ستة أفرخ
من القطع الصغير)

كل هذا ليس بمنكرٍ على أحد ، ولا مأخوذ به إنسان ،

١ وهي الطبعة الأولى التي ظهرت في سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٢ م
ولم يظهر غيرها بتمامه حتى الآن ٢ من صفحة — ١٤٠ — إلى —
١٤٩ — ٣ من صفحة — ١٣٣ — إلى — ١٣٨ —

مادُّنا تَلَجًا بعد ذلك إلى حَرْزٍ حَرِيزٍ من صَوَابِ الرَّأْيِ ،
وَرُكْنٍ شَدِيدٍ مِنْ صَحِيحِ الْقَوْلِ

وإنما الذي إِيَّاهُ نَعِيبُ ، وله نَسْتَزِرِي أَلَّا يَضْمَنَ الرَّجُلُ
ثِقَتَهُ بِنَفْسِهِ ، أَوْ أَنْ يَلُوحَ لَهُ مِنْ عَمَلِهِ مَا يُزْعِزُ هَذِهِ الثِّقَةَ
- إِنْ كَانَتْ - ثُمَّ لَا يَسْعَى لَهَا سَعِيَهَا ، فَيَتَلَمَّسُهَا فِي الْمَطَانِّ ،
وَيَفْتَقِدُهَا فِي آثَارِ النَّاسِ

نذكر الآنَ بَعْضَ مَا وَرَدَ فِي جَدُولِ الْخَطَا وَالصَّوَابِ
مِثْلَ ذَلِكَ . فقد جاءَ بِصَفْحَةٍ - ١٨ - ضَبْطٌ لِلْفِظِ (حَرَ صَوَا)
بَكْسَرِ الرَّاءِ ، ثُمَّ وَرَدَتْ بِالْجَدُولِ فِي مَصَافِّ الْخَطَا . قالَ
وَالصَّوَابِ فَتَحُّهَا . وَهَذَا حَسَنٌ كُلُّ الْحَسَنِ ، لِأَنَّ كَسَرَ الرَّاءِ
لُغَةً أَوْ لُغِيَّةً ، وَالْفَتْحُ - لَا شَكَّ - أَفْصَحُ ، فَنَحْنُ نُوَافِقُهُ عَلَى
هَذَا وَنَشَايَعُهُ فِيهِ ، وَنَشْكُرُهُ إِيَّاهُ ، لِأَنَّهُ دَأْبٌ فِي سَبِيلِ الْكَمَالِ :
كَمَا أَنَّهُ عَهْدٌ عَلَيْهِ ، وَمِثَاقٌ مِنْهُ ، بِرَغْبَتِهِ عَنِ الْفَصِيحِ إِلَى
الْأَفْصَحِ ، وَرَجْوَعِهِ عَنِ الصَّالِحِ إِلَى الْأَصْلَحِ
وإنما الذي لَا نَرْضَاهُ (لِسَعَادَةِ الْبَاشَا) وَلَا نُقِرُّهُ عَلَيْهِ

ما جاء بصفحة - ٧٥ - فقد ضبط فيها لفظ (يَكْسِبُهُ) ثلاثيا
في هذه الجملة (وإن الشريرَ يَكْسِبُكَ الأعداء) ثم ورد في
الجدول مخطأ . فأما أننا لا نرضاه له ولا نُقرُّه عليه فلأن
التعديل فيه معكوس مخلوط ، والتحزير مختلف معتل .
ولو وُفق (سمادة الباشا) لارتضى ما أُقرَّته المصادفة ،
ولا كتفى بما خدَّمته به محاسنُ الموافقة

ذلك أن (كَسَبَ) الثلاثي يجتاز إلى مفعولين بنفسه ،
غيرَ مُحتاج في تعديته إلى حرف ولا صيغة ، فنقول (كَسَبْنَا
الله الخير) و (كَسَبْنَا الاجتهاد حسن الصواب)

وعلى هذا اتفق جمهورُ اللغويين حتى قالوا - أو كادوا -
بلسان الإجماع : ليس في اللغة فعل مهموز من (كَسَبَ) اللهم
الا ابنُ الأعرابي الذي أجاز الرباعيَّ مع شدَّة إنكار اللغويين
له وزرايتهم عليه . وأنشد (فأ كسبني مالا وأ كسبته حمدا)
وان وافقه (ابن يعقوب) وذكره في صورة تُشعر بضعفه

إذا فالثلاثي هو الذي تعرفه اللغة ، وما داخل الشاك لغويا

فيه : بخلاف الرباعي الذي أجمعوا على إنكاره كما قدمنا ، وإليه
يشير (أحمد بن يحيى) بقوله كلهم يقول : كَسَبَ إلا (ابن
الأعرابي) فيقول أكسب

عتبنا على الباشا في احتكار الكتاب

بقي أمامنا الآن شيء عَرَض في مقدمة كتابه . ولسنا
نريد أن نمرَّ به مرَّ الكرام كما يقول الكتّابون . فليست
هذه بمنزلة الأستاذ . وإنما هو من أول الذين يجب أن
يُعنى جمهور الناس بكل ما نطق به لسانه ، أو جرى به
قلمه ، ويُحاسبوه عليه حسابا ، ولو يسيرا

وإنما نريد أن نُشير إليه ونعتب على (الأستاذ) فيه ،
احتفالا بشأنه ، وتنزيها لقلمه عن مثل الذي سقط فيه . وجدير
بنا قبل ذلك أن نقف بالتأري على لفظة الذي جاد به بنانه ، وجاش
به جنانه . قال بعد كلمة وجيزة في أنه أهدى إلى جمعية العروة الوثقى
كتابين : هما جرثومة الأدب ومن خير ما ظهر بلسان العرب :
« تجلّى » « الأدب الصغير » منذ عام ، في ثوب قشيب

بديع النظام . فحياءُ أمراء الفصاحة ، وأستبشر به أهل الرأي
وأرباب الحصافة . ونال عند الفريقين مكانته الجدير بها من التجلّة
والإكرام . نال من الرواج ما جعل بعض البلاء المتطقلين يقلده
بلا خجل ، وفاته (أن التكحل غير الكحل)

لعمري ! إن هذا التقليد لا يسوءنا مطلقا . فالعاجز (المزور)
إنما (يتسكع) في تقليد البضاعة المقبولة ليكسب من وراء
جريرته السحت والحرام !

لو أن الأغرار المغرورين (يتقدمون إلينا)^١ (لنهديهم
شيئا)^٢ يجعل لهم ذكرا محمودا ولنهديهم السبيل الذي يكون
لهم في نهايته مقاما كريما ، لفعلنا . والله على ما نقول شهيد .
ويقيننا أيضا أنهم إذا التمسوا من تلك (الجمعية) نوالا من هذا
الباب ، لما بخلت عليهم . لأن وظيفتها إسداء الخير وتعم الناس
لكن (الأخطاط) بلغ من بعض الذين (لا خلاق

١ مما يؤسف عليه أن الاستعمال لا يرضى ذلك فإن (تقدم إليه)
لا يستعمل إلا بمعنى (أمره) ولا نطن الباشا قد قصد إلى ذلك سبيلا
٢ الصواب : لنهدي إليهم ، أو نهدى لهم

لهم) أنهم يؤثرون التدني في الأخلاق والتدلي في الأعمال،
لأن الرزق الحلال لا يجديهم، والريح الطيبة تؤذيهم. فهم
لا يبالغون إذا ما تشبهوا (بالحيوانات^١) الحلمية أو النباتات
الطفيلية. (وما ذا نقول في الفضول، والله في خلقه شؤون؟)
على أنه ما دام أهل الشهامة يتضافرون على رفع مستوى
الأخلاق والارتقاء بها في سلم الكمال، فلا بد للفضيلة من التغلب
على ذلك الصنف من الحيوان، فينقرض «إن شاء الله» من جماننا
الاجتماعي، تبعاً للناموس العمراني الدائم، وهو بقاء الأصلح
والأنسب. فأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في
الأرض ﴿

فأنت ترى أن أولئك الذين نالهم (الباشا) بقلمه
قد أحفظوه وأخرجوا صدره، حتى لم يستطع أن يكظم
غيطه، أو يكف غربه، أو يملك نفسه عن الوقوع فيما وقع فيه
مما لا يحسن به، ولا يصح أن ينسب إليه

١ الصواب (بالحيوانات) لأن التصغير هنا يجب أن يكون في المفرد لا في الجمع

ولعمري لقد وقف الباشا نفسه بمنزلة هي الى الخطأ
أدنى منها الى الصواب . فقد كان مقام خصومه خليفاً أن
يخصمهم من لسانه (إن كانوا كباراً) أو أن يخصم لسانه منهم
(إن كانوا صغاراً) وما كان للباشا - وهو الحريص على إذاعة العلم
وفضله بين الناس ، المعني بإشاعة الأدب وثقافته في الجمهور - أن يميل
الى احتكار كتاب نشره وجد في طبعه . وإنما الجدير به ، المرضي
منه أن يستبشر حين يرى تداول الناس له ، وتهالكهم عليه

عنايتنا بالكتاب

وهنا نحن أولاء قد عمدنا الى الكتاب ، فأعدنا طبعه ،
وحققنا لفظه ، وشرحنا غريبه ، ورتبنا معناه ، وخفضنا ثمنه
جعلناه مقالتين كما كان يصنع قدماء الحكماء بكتبهم ، وجعلنا
الأولى في السلطان منقسمة الى بابين : الأول في آدابه ، والثاني
في صحبته . وجعلنا الثانية لأدب الأصدقاء شاملة ، ولما يحسن
بهم من الخلال حاوية . ثم سمونا الى معاني الكتاب قسماتها
مطالب ، وجعلنا لكل مطالب عنواناً ، ووضعنا بهذه العناوين

ثبتا (فهرسا) يُرجع في البحث اليه ، ويُعتمد في التنقيب
عليه ، ليكون متناوله على التلميذ أسهل ، وجنّاه الى الطالب أدنى
إذ كانت هذه الطريقة لنفوس التلاميذ آلف ، ولطباعهم
ألصق . وإذا كانوا لا يُحبّون كتابا ولا يحرصون على النظر فيه ،
إلا إذا ازدان بها ، وتحلى بجمالها

وقد جمعنا من نسخ الكتاب المنشورة والمخطوطة ما
اختلف منها وما اختلف ، فلاءمنا بين متنافرها ، ووفقنا بين
متمازها ، واستخرجنا منها نسخة ما نرى الا أنها أحسن
مظهر للوفاق ، وأجمل ممرض للانسجام

ورأينا أن هذه النسخ لم تتفق في ترتيب المعاني بعضها
إلى بعض ، ولم نعرف لترتيب بعينه روايةً صحيحةً عن
(ابن المقفع) فأثرنا أن نبذل من أنفسنا في ذلك جهداً
وأن نقر كل معنى مما قبله وما بعده في نصّابه ، ونضعه
في المكان المقسوم له ، حتى تأخذ فصول الكتاب بعضها
بحُجزة بعض ، فلا يقع القارئ في سوء الانتقال

ولسنا ندعى لأُتفينا العصمة من الخطأ ، ولا نتحل لها
البراءة من الزلل . ولا نُظهرها مظهرَ الضعيف المتردد ، ولا
الشاك المرتاب

وانما نعلن أننا قد بذلنا في هذا الكتاب عملاً ما ، أرحب
ما نكون صدراً لقبول ما يوجه إلينا من نقد ، وأطيب ما نكون
نفساً باتباع ما يهدي إلينا من إرشاد . والله ولي التوفيق

محمد حسن نائل المرصفي

القاهرة غرة الحجة سنة ١٣٣١ هجرية

قال عبد الله بن المقفع

(في فضل الاقدمين)

إِنَّا وَجَدْنَا النَّاسَ قَبْلَنَا كَانُوا أَعْظَمَ أَجْسَامًا ، وَأَوْفَرَ^١
مَعَ أَجْسَامِهِمْ أَحْلَامًا^٢ ، وَأَشَدَّ قُوَّةً ، وَأَحْسَنَ بِقُوَّتِهِمْ^٣
لِلْأُمُورِ إِتْقَانًا ، وَأَطْوَلَ أَعْمَارًا ، وَأَفْضَلَ بِأَعْمَارِهِمْ لِلْأَشْيَاءِ^٤
اِخْتِبَارًا^٥

فَكَانَ صَاحِبُ الدِّينِ مِنْهُمْ أَبْلَغَ^٦ فِي أَمْرِ الدِّينِ
عِلْمًا وَعَمَلًا مِنْ صَاحِبِ الدِّينِ مِنَّا ، وَكَانَ صَاحِبُ الدُّنْيَا عَلَى
مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْفَضْلِ

وَوَجَدْنَا هُمْ لَمْ يَرْضَوْا بِمَا فَازُوا بِهِ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي قُسِمَ
لِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَشْرَكُوا مَعَهُمْ فِيمَا أُذْرَكُوا مِنْ عِلْمِ الْأُولَى
وَالْآخِرَةِ ، فَكَتَبُوا بِهِ الْكِتَابَ الْبَاقِيَةَ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ

١ أكثر ٢ الاحلام : جمع حلم بالكسر وهو العقل . ويروي اجسادهم
بدل اجسامهم ٣ يريد ان طول اعمارهم وكثرة ممارستهم جعل اختبارهم
للأشياء ووقوفهم على الحقائق افضل من اختبارنا واقرب منه الى الصواب ٤ أي أكثر
نمسا بالعلم وأشد حرصا على العمل



الشافية ، وكفونا به مؤونة^١ التجارب والفيضان
 وبلغ من اهتمامهم بذلك أن الرجل منهم كان يفتح له
 الباب من العلم ، أو الكلمة من الصواب - وهو في البلد غير
 المأهول^٢ - فيكتبه على الصخور مبادرةً للأجل وكراهيةً
 منه أن يسقط^٣ ذلك عمن بعده

فكان صنيعهم في ذلك صنيع الوالد الشفيق على
 ولده ، الرحيم البر بهم ، الذي يجمع لهم الأموال والمقد^٤
 إرادة ألا تكون عليهم مؤونة في الطلب ، وخشية
 عجزهم ، إن هم طلبوا

فمنتهى علم عالما في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم
 وغاية إحسان محسننا أن يقتدي بسيرتهم

١ المؤونة بالضم والفتح : المشقة والعناء . والتجارب بكسر الراء : جمع تجربة
 بكسرهما أيضا : وهي اختبار الشيء مرة بعد أخرى ٢ أي الذي ليس فيه أهل
 يسكنونه ٣ يقول كان المتقدمون إذا ماعنت لاحدهم خاطرة أو سئمت لهم
 شاردة بادروا بتدوينها على الصخور خشاة أن يوافيهم الاجل فتسقط عن بعدهم
 وتضيع على سواهم ، وروى كراهية لان يسقط ٤ المقد : جمع عقدة : وهي
 العقار ونحوه . وفسرها الاستاذ الشنقيطي بأنها النفائس من الاموال ولو كان
 ذلك مراداً للكاتب لفض من مكانها ذكر الاموال قبلها



وأحسن ما يُصيبُ من الحديثِ مُحدِّثنا أن
 ينظرَ في كُتُبِهِمْ . فيكونَ كأنَّهُ إياهم يُحاورُ ، ومنهم
 يَستمعُ ، وآثارهم يتَّبِعُ ، وعلى أفعالهم يحتدي ، وبهم يقتدي
 غير أن الذي نجدُ في كُتُبِهِمْ هو المنتحلُّ من آرائهم
 والمنشَقَّى من أحاديثهم

ولم نجدْهم غادرُوا شيئاً يحدُّ واصفٌ بليغٌ في صفةٍ له
 غايةً لم يسبقْوه إليها : لا في تعظيمِ الله - عز وجل -
 وترغيبٍ فيما عنده ، ولا في تصغيرِ الدنيا وتزهيدٍ فيها ، ولا
 في تحريرِ صنوفِ العلمِ وتقسيمِ قِسَمِهَا وتجزئةِ أجزائها
 وتوضيحِ سُبُلِهَا وتبيينِ مآخذها ، ولا في وجهٍ من وجوه

١ إياهم : مفعول مقدم يحاور . ومثله آثارهم مفعول يتبع : والمحاور :
 المناقشة . ضاق ذرع الكاتب من أهل عصره فوصفهم بالأنا نصيب لهم من الابداع
 ولاحظ من الابتكار وليس لهم إلا أن يتلمسوا طريقاً لتقدمهم فيطلبوه أو مثلاً
 لهم فيحتذوه : بالفاظهم يعبرون وبآرائهم يفكرون كأنهم جميعاً في مجلس يتحاورون
 * سقط من بعض النسخ قوله (وعلى أفعالهم يحتدي ، وبهم يقتدي) ولكن هذا
 التركيب بأسلوب ابن المقفع الصق ٢ المختار : المتقى . جاء في حرف الجر
 الداخل على آرائهم خلف في بعض النسخ فورد لفظ في بدل من والذي ذكرناه
 أنسب ٣ غادروا : تركوا ٤ ويروى مقالا لم يسبقوه إليه ٥ ويروى
 أقسامها

الأدب وضروب الأخلق^١

فلم يبقَ في جليل الأمر ولا صغيره لقائل بعدهم مقال
وقد بقيت أشياء من لطائف الأمور فيها مواضع
لصغار^٢ الفطن، مشتقة من جسام حكم الأولين
وقولهم. فمن ذلك بعض ما أنا كاتب في كتابي هذا من
أبواب الأدب التي قد يحتاج إليها الناس

طلب

(٢)

(في الحث على تعرف أصل العلم وفصله)

يا طالب العلم !

إن كنت نوع العلم تريد^٣ فأعرف الأصول
والفصول . فإن كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع إضاعة
الأصول . فلا يكون^٤ دركهم^٤ دركاً . ومن أحرز

١ أصاب بعض النسخ سقط في الكلمات فورد (ولا في وجوه الأدب...)
وأما الضروب فجميع ضرب بالفتح وهو المصنف ٢ ويروي لقوامض الفطن
٣ ويروي بأسقاط « قد » ٤ نوع : مفعول لتريد . وقد سقطت جملة
الشرط من بعض النسخ

الأصول^٢ اكتفى بها عن الفصول . وإن أصاب الفصل

بعد إحرار الأصل فهو أفضل

فأصل الأمر في الدين أن تعتقد الإيمان على

الصواب ، وتجتنب الكبائر ، وتؤدي الفريضة . فالزم

ذلك لزوم من لا غنى له عنه طرفة عين ، ومن يعلم

أنه إن حرمه هلك . ثم إن قدرت على أن تجاوز ذلك

إلى التفقه في الدين والعبادة فهو أفضل وأكمل

وأصل الأمر في صلاح الجسد ألا تحمّل عليه من

المآكل والمشرب والباه إلا خفافاً^٣ ثم إن قدرت على أن

تعلم جميع منافع الجسد ومضارّه^٤ والالتفاف بذلك كانه فهو أفضل

١ الدرك محرّكة : ادراك الحاجة . يريد أنهم وإن حصلوا على بعض ما أملوا

وأدركوا آثاره من عام لم يكن حقيقة أن يسمى هذا الحصول ادراكاً للحاجة ولا

وصولاً للغاية ٢ حازها ٣ يقال : ماله عنه غنى بالكسر ولا مغنى ولا غنية ولا

غنيان مضمومتين ، ويراد : ماله به . والمغنى على هذا مستقيم لا غضاضة

فيه . وأما الغناء بالفتح ممدوداً فيستعمل : ضد الفقر مثل المتصور أيضاً

٤ كذلك وردت في نسخة الشنقيطي خفافاً بالالف بين الفاءين . وزعم

صاحب السعادة أحمد زكي باشا أن المعنى معها لا يستقيم . قال : ووردت هذه

الكلمة في ش : « خفافاً » وأظن المعنى بها لا يستقيم . ورواها خفا

بالكسر ومعناه الخفيف . ولو كان يعتمد في تحقيقه على غير ذاكرته أراي

وأصل الأمر في البأس والشجاعة ألا تحدث
نفسك بالإدبار، وأصحابك مقبلون على عدوهم. ثم إن
قدّرت على أن تكون أول حاملٍ وآخر منصرفٍ، من
غير تضييع للحذر^١، فهو أفضل^٢

وأصل الأمر في الجود ألا تضنّ بالحقوق على أهلها.
ثم إن قدّرت أن تزيد ذا الحقّ على حقه وتطول^٣ على من
لا حقّ له فافعل فهو أفضل^٤

وأصل الأمر في الكلام أن تسلم من السقط^٥
بالتحفظ. ثم إن قدّرت على بارع الصواب فهو أفضل^٦
وأصل الأمر في الميثة ألا تني^٧ عن طلب الحلال،
وأن تحسّن التقدير لما تُفيد وما تنفي^٨. ولا يغرنك من ذلك

صاحب القاموس يقول والحف بالكسر: الحفيف، والجماعة القليلة، وكغراب
الحفيف، الاستقام المني ولا استبان له اللفظ ١ الحذر بالكسر ويحرك (مع الفتح) :
التحرز ومجانبة الشيء ٢ أصابها تطول حذف أحدى التاءين تخفيفاً، ومعناه
تتم ٣ وتروي أيضاً تطول من الثلاثي المأخوذ من الطول الذي هو المن أيضاً
٤ السقط محركة: الخطأ ٥ من قولهم ونى الرجل في الأمر: فتر وضعف وكل وأعيا

سَعَةً تَكُونُ فِيهَا . فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا خَطَرًا^١
 أَحْوَجُهُمْ إِلَى التَّقْدِيرِ ، وَالْمُلُوكُ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَ السُّوقَةِ^٢
 لِأَنَّ السُّوقَةَ قَدْ تَمِيشُ بِغَيْرِ مَالٍ ، وَالْمُلُوكَ لَا قِوَامَ^٣ لَهُمْ
 إِلَّا بِالْمَالِ . ثُمَّ إِنَّ قَدَرْتَ عَلَى الرِّفْقِ وَاللُّطْفِ فِي الطَّلَبِ وَالْعِلْمِ
 بِوَجْهِهِ الْمَطَالِبِ فَهُوَ أَفْضَلُ^٤

وَأَنَا وَاعِظُكَ فِي أَشْيَاءَ مِنَ الْأَخْلَاقِ اللَّطِيفَةِ وَالْأُمُورِ
 الْغَائِضَةِ الَّتِي لَوْ حَسَبْتَكَ سِنًّا كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَعْلَمَهَا ،
 وَإِنْ لَمْ تُخَبِّرْ عَنْهَا . وَلَكِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكَ فِيهَا
 قَوْلًا لَتَرَوْضَ^٥ نَفْسَكَ عَلَى مُحَاسِنِهَا قَبْلَ أَنْ تَجْرِيَ عَلَى
 عَادَةِ مَسَاوِيهَا . فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ تَبَدَّلَ^٦ إِلَيْهِ فِي شَبِيبَتِهِ
 الْمَسَاوِي ، وَقَدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ مَا بَدَرَ إِلَيْهِ مِنْهَا لِلْعَادَةِ . فَإِنْ لَتَرَكَ
 الْعَادَةَ مُؤْنَةً شَدِيدَةً وَرِيَاضَةً صَعِبَةً

١ الخطر بالنجربك : الشرف وارتجاع القدر والمنزلة ٢ السوق بالضم :
 الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكور والمؤنث ، وقد سموا كذلك لأن الملك يسوتهم
 ويصرفهم إلى ما شاء . وأما السوق فواحد السوقين : لاهل السوق ٣ القوام
 بالسكر نظام الامر وعماده وملاكه الذي يقوم به ٤ من قولهم راض المهر
 روضا ورياضة : ذله وجعله مسخرًا مطيعًا . والمعنى لتسكره نفسك على مزاولة محاسنها

المقالة الاولى

في السلطان وفيها بابان

الباب الاول

(في آداب السلطان وفيه مطالب)

مطلب

(٣)

(في أن صاحب الامارة لا ينبغي له أن يعني الا بأعمالها)

إن ابتليت بالسلطان^١ فتعوذ بالعلماء^٢

وأعلم أن من العجب^٣ أن يتلى الرجل بالسلطان

فيريد أن ينتقص من ساعات نصبه وعمله فيزيد هاهنا ساعات

١ السلطان هنا : ولاية امور الناس والامارة وقد وردت باللفظ الاخير في كثير من النسخ . وأما لفظ السلطان الذي يعرف الآن فقد استعمل في الاسلام ووضع لقب تفخيم لوزراء الدولة العباسية ويقول ابن خلدون ان جعفر بن يحيى (وزير هارون الرشيد) سمي ساطانا وبرجح عند المؤرخين ان السلطان لم يكن رتبة رسمية الا في اواخر القرن الرابع للهجرة اذ سمي به محمود القرنوي ابن سبكتكين ويرون على هذا الرأي أنه اول سلطان في الاسلام بعد ان كانت رتبته امير الامراء ثم صار بعد الملوك الاتراك والاكراد والجرأكسة وغيرهم من السلاجقة والايوية والماليك والعمانيين ٢ يقال تعوذ به : اعتصم ولجأ اليه

٣ العجب : انكار ما يرد عليك . ومما لا ريب فيه ان اشتغال صاحب السلطان

دَعَتَهُ وَفَرَائِغَهُ وَشَهْوَتَهُ وَعَبَثَهُ وَنَوْمَهُ

وإنما الرأي له والحق عليه أن يأخذ لعمله من جميع
شغله ، فيأخذ له من طعامه وشرابه ونومه وحديثه وآهوه
ونسائه قدر ما يكون به إصلاح جسمه وتقوية له على
إتمام عمله

وإنما تكون الدعة^١ بعد الفراغ
فاذا تقلدت شيئا من أمر السلطان فكن فيه أحد رجلين :
إما رجلا مغتبطا به^٢ ، محافظا عليه مخافة أن يزول عنه ،
وإما رجلا كارهها له مكرها عليه . فالكاره عامل في
سخرية : إما لأملاكه ، إن كانوا هم ساطوه ، وإما لله تعالى ،
إن كان ليس فوقه غيره

بعبثه وشهوته وعنايته بدعته ورفاهيته في ملكه هو احوج ما يكون الى تلك الاوقات
التي انقضا في اذائده وذلك النصب الذي اضاعه في شهوات نفسه مما يستغنى
الدهش ويشير العجب

رأى صاحب السعادة احمد زكي باننا في تحقيق نسخته ان الاولى استبدال
لفظ العيب بلفظ العجب ليستقيم المعنى . ولكنه رجع آخر الكتاب فارتضى
العجب واستقام له المعنى . ٢ الدعة : الراحة والخفض ٢ مسرورا

وقد علمت أنه من فرط في سخرة الملوك أهلكوه .

فلا تجعل للإللك على نفسك سلطانا ولا سييلا

وإيالك - إذا كنت واليا - أن يكون من شأنك حب

المدح والتركيب ، وأن يعرف الناس ذلك منك ، فتكون

ألمة^١ من أشلمهم يتقحمون عليك منها ، وبإيا يفتتحونك

منه ، وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منك لها

واعلم أن قابل المدح كادح نفسه . والمرء جدير^٢ أن

يكون حبه المدح^٣ هو الذي يحمله على رده . فإن الراد

له محمود ، والقابل له معيب^٤

مطلب

(٤)

(فيمن ينبغي للوالي أن ينال رضا)

لتكن حاجتك في الولاية إلى ثلاث خصال : رضى

ربك ، ورضى سلطان - إن كان فوقك - ورضى صالح

من تباي عليه .

١ ألمة بالضم . فرجة المكور والهدوم والجمع تلم ٢ المدح مفعول

للمصدر الذي هو حبه

ولا عليك أن تلهو عن المال والذكر ، فسيأتيك منهما
ما يحسن ويطيب ويكتفى به

وأجمل الخصال الثلاث منك بمكان ما لا بد لك
منه . وأجمل المال والذكر بمكان ما أنت واجد منه بشأ

مطلب

(٥)

(فيمن يجب أن يكونوا بطالة وأعفيا)

اعرف الفضل في أهل الدين والمروءة في كل كورة^٢
وقرية وقبيلة . فليكونوا هم إخوانك وأعدائك وأخذائك
وأصفياءك وبطانتك ولطفائك وإثقاتك وخلفائك . ولا
تقدرن في روعك^١ أنك إن استشرت الرجال ظهر
للناس منك الحاجة إلى رأي غيرك . فأنك لست تريد
الرأي للافتخار به ، ولكنما تريد للانتفاع به . ولو أنك

١ أي بمكان ما لا مراك منه ولا مندوحة عنه ٢ الكورة بالشيم :

الصقع وفي المفردات : قيل اسكل مصر كورة وهي البقعة يجتمع فيها قري ومحال
(قال احمدزكي باشا : وذلك من التقاسيم الجغرافية القديمة مثل الرستاق في بلاد
فارس والمخلاف في بلاد اليمن والجندي في بلاد الشام وكما نقول نحن مديرية فها يختص

مع ذلك أردت الذكر ، كان أحسن الذكرين وأفضلهما عند
أهل الفضل والعقل أن يقال : لا يثمر دبرأيه دون استشارة
ذوي الرأي

مطلب

(٦)

(في أن رضى الناس غاية لا تدرك)

إنك إن التمس رضى جميع الناس تلتبس ما لا يدرك
وكيف يتفق لك رأى المختلفين؟ وما حاجتك إلى رضى
من رضاه الجور ، وإلى موافقة من موافقته الضلالة
والجهالة؟ فمالك بالتمس رضى الأختيار منهم وذوى العقل؟
فإنك متى تصيب ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه

بأرض مصر) ثم ذكر في الاستدراك آخر الكتاب أن هذا مأخوذ به عن ياقوت
أما ياقوت فإنه قال في (مخاليف اليمن) هي بمنزلة الكور والرسانيق وفي مادة
(رستاق) قال وربما جعل من نواحي كرمان

وفي (أجناد الشام) بذكر قول أحمد بن يحيى بن جابر : اختلفوا في الأجناد ف قيل
سعى المسلمون فلسطين جندا لانه يجمع كورا والتجنيد التجمع ثم قال أيضا . . . ولم تزل
قنسرين وكورها مضمومة الى حمص حتى كان يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وأنطاكية
ومنبج جندا يرأسه . وقد كان ياقوت جعل قنسرين أحداً لأجناد الشام الخمسة * فيستخلص
من هذا كله أن حاشية المحقق أحمد زكى باشا قد دخلها السهو وأن الكورة
لا توازي الجند في الشام كما يقول ١ الروع بالضم : القلب وقيل موضع الفزع منه

(٧)

طَبْ

(فَمَا يَنْبَغِي لِلْإِسْلَامِ أَنْ يَصْفِيَاءَهُ وَسَائِرُ رَعِيَّتِهِ)

لَا تُمْكِنُ أَهْلُ الْبَلَاءِ الْحَسَنَ عِنْدَكَ مِنَ التَّدَلُّ^١
 عَلَيْكَ ، وَلَا تُمْكِنَنَّ مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْاجْتِرَاءِ عَلَيْهِمْ وَالْعَيْبِ لَهُمْ^٢
 لِتَعْرِفَ رَعِيَّتَكَ أَبْوَابَكَ الَّتِي لَا يُنَالُ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْخَيْرِ
 إِلَّا بِهَا ، وَالْأَبْوَابَ الَّتِي لَا يَخَافُكَ خَائِفٌ إِلَّا مِنْ قِبَالِهَا
 إِحْرِصِ الْحَرِصَ كُلَّهُ عَلَى أَنْ تَكُونَ خَابِرًا أُمُورَ
 عُمَّالِكَ . فَإِنَّ الْمُسَىَّ يَفْرُقُ مِنْ خُبْرَتِكَ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهُ

١ يقال تدل عليه : اظهر الجرأة إبهاما بالمخالفة وليس في نفسه خلاف
 ٢ يريد ولا تطمع فيهم غيرهم فيجتروا عليهم ويصيبوهم . ذكر الامير شكيب
 ان عاب تسمى باللام وهو خطأ . والصواب ان يقال عاب الشيء : صار ذاعيب
 وعابه : اضاف اليه العيب

وهنا استدرك صاحب السعادة احمد زكي باشا على هذا الامير آخر الكتاب
 وجاء بتحقيق مستفيض . ولكن انا عليه ملاحظات سترد بهد ان ذكر ذلك قال (وانما
 احتاج ابن المقفع لاستعمال جملة « والعيب لهم » لاستخدام لام التقوية
 التي تأتي بعد المشتقات لضعفها عن العمل بنفسها . ولو قال « وعيهم . أو وعيهم
 ايهم » لكان الكلام صحيحاً . ولكنه راعى المشاكلة مع الجار والمجرور
 قبله في قوله « والاجترأ عليهم فاستعمل والعيب لهم . وهذا من حسن
 الديباجة وجمال الملازمة التي يميل اليها بلغاء الكتاب) اه قول الحق
 وأما ملاحظتنا فأولاهما اعتبار هذا المركب جملة وهو قول ابن المقفع (والعيب لهم)
 وهو بعيد عن تقسيم الجمل التي يعرفها النحوي والبياني والمنطقي

وَقَعُكَ بِهِ وَعُقُوبَتُكَ ، وَإِنَّ الْمُحْسِنَ يَسْتَبْشِرُ بِعِلْمِكَ قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَهُ مَعْرُوفُكَ

لَيَعْرِفِ النَّاسُ - فِيمَا يَعْرِفُونَ مِنْ أَخْلَاقِكَ - أَنَّكَ
لَا تُعَاجِلُ بِالثَّوَابِ وَلَا بِالْعِقَابِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ أَدْوَمُ خَوْفِ
الْخَائِفِ وَرَجَاءِ الرَّاجِي

مَطْلَبٌ

(٨)

(في الحث على احتمال نصيح النصيحة وعذله)

عَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ مِنْ ذَوِي النَّصِيحَةِ ،

وتأنيتهما تعريفه لام التقوية بأنها التي تأتي بعد المشتقات . فان هذا التعبير مما يدل على أنه رأى في لفظ العيب اشتقاقاً . وكذلك يرى الكوفيون : أن المصدر مشتق ولكن ماذا يرى المحقق في قول الله (ان كنتم لارؤيا تعبرون) هل يعتقد أن الفعل مشتق أيضاً وهل يعتقد أن اللام جاءت (بعد) مشتق ؟ ؟
فألبها انه جل قول ابن المقفع غير صحيح . ثم لم يلبث أن جعله من حسن الديباجة وجمال الملاءمة التي يميل إليها بلغاء الكتاب . ولست أدري كيف تكون اللام للتقوية ومن باب المشاكسة ثم يكون غير صحيح . ولعله يريد أن هذا التركيب مما يمنعه الاستعمال المسروع وتجزئه القواعد الموضوعية . فان كان ذلك يريد فمبارته تحتاج بعد الى بيان أشفى وأوضح

والحقيقة أن لام التقوية هي المريدة لتقوية عامل ضئف عن العمل وذلك اذا تأخر كقوله تعالى (هدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) أو كان العامل قرطاً في العمل كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغة المبالغة نحو مصدقا لما معهم

والتجرُّعَ لمرارة قولهم وعذْلهم ، ولا تُسَيِّرَنَّ سَبِيلَ ذَلِكَ
إِلَّا لِأَهْلِ الْعَقْلِ وَالسِّنِّ وَالْمُرُوءَةِ ، إِنْ لَمْ يَنْتَشِرْ مِنْ ذَلِكَ
مَا يَجْتَرِي بِهِ سَفِيهِه أَوْ يَسْتَخِفُّ بِهِ شَانِيٌّ^١

مطلب

(٩)

(في ان السلطان لا ينبغي له ان يعني بغير الخطير من الرجال والاعمال)
لا تتركَنَّ مباشرةَ جسيمِ أمرِكَ فيعودَ شأنُكَ صغيراً ،
ولا تُلزِمْ مَنْ نَفْسُكَ مباشرةَ الصغيرِ ، فيصيرَ الكبيرُ ضائعاً
وَأَعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ لَا يُعْنِي النَّاسَ كُلَّهُمْ فَأَخْصُصْ بِهِ
أَهْلَ الْحَقِّ ، وَأَنَّ كِرَامَتِكَ لَا تُطِيقُ الْعَامَّةُ كُلُّهَا فَتَوَخَّ بِهَا
أَهْلَ الْفَضْلِ ، وَأَنَّ قَلْبِكَ لَا يَتَسَمَّعُ لِكُلِّ شَيْءٍ فَقَرِّ غُهُ لِلْمُهْمِّ ،
وَأَنَّ لِيْلَكَ وَنَهَارَكَ لَا يَسْتَوْعِبَانِ حَاجَاتِكَ ، وَإِنْ دَابَّتْ
فِيهِمَا ، وَأَنْ لَيْسَ لَكَ إِلَى إِدَامَةِ الدَّاءِ فِيهِمَا سَبِيلٌ مَعَ حَاجَةٍ
جَسَدِكَ إِلَى نَصِيْبِهِ مِنْهُمَا فَأَحْسِنْ قِسْمَتَهُمَا بَيْنَ عَمَلِكَ وَدَعَاكَ
وَأَعْلَمْ أَنَّ مَا شَغَلَتْ مِنْ رَأْيِكَ بغيرِ الْمُهِمِّ أَزْرَى بِكَ

فقال لما يريد . نزاعة الشوى . وأما ذلك التعريف الذي جاء به فلم يرش عنه
كوفي ولا بصرى ١ الشانئ : المبعض

فِي الْمُهْمِّ ، وَمَا صَرَفْتَ مِنْ مَالِكَ فِي الْبَاطِلِ فَقَدْتَهُ حِينَ
تُرِيدُهُ لِلْحَقِّ ، وَمَا عَدَلْتَ بِهِ مِنْ كِرَامَتِكَ إِلَى أَهْلِ النِّقْصِ
عَنْ أَهْلِ الْفَضْلِ ، وَمَا شَغَلْتَ مِنْ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي غَيْرِ الْحَاجَةِ
أُزْرِي بِكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مِنْكَ إِلَيْهِ

مَطْلَبُ

(١٠)

(فِي تَحْذِيرِ السُّلْطَانِ مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي الْغَضَبِ وَالتَّسْرِعِ فِي الرِّضَى)

أَعْلِمُ أَنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا كَثِيرًا^١ يَبْلُغُ مِنْ أَحَدِهِمُ
الْغَضَبُ إِذَا غَضِبَ - أَنْ يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى الْكُلُوحِ^٢
وَالْقُطُوبِ^٣ فِي وَجْهِهِ غَيْرَ مَنْ أَغْضَبَهُ ، وَسُوءِ اللَّفْظِ لِمَنْ
لَا ذَنْبَ لَهُ ، وَالْعُقُوبَةِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ يَهْمُ^٤ بِمَعَاقِبَتِهِ ، وَشِدَّةِ

١ ناس : اسم وضع للجمع كالرَهْط والقوم ، واحده انسان من غير لفظه .
واسم الجمع بمامل معاملة المفرد كما بمامل معاملة الجمع : فيقال ناس كثير كما يقال
ناس كثيرون . وقيل انه جمع أنس وأصله أناس جمع نادر وهو ما لم يجز عليه
ابن المقفع هنا ، والا لوجب ان يقول (ناس كثيرون) ٢ الكاوح بالضم
ومثله الكلاح مضموماً أيضاً مصدر كلح الوجه كقطع : تكشر في عبوس ،
أو عبس فأفرط في تعبسه ، وقيل ان الكاوح في الاصل بدو الاسنان عند
العبوس ٣ القطوب مضموماً والقطب مفتوحاً : مصدر قطب الرجل كنصر
زوي ما بين عينيه وكلح ، ويقال زوي ما بين عينيه وما بين عينيه ٤ من
هم بالشئ هما : نواه وأراداه وعزم عليه وقصده ولم يفعله

المعاقبة باللسان واليد لمن لم يكن يُريد به إلا دُونَ ذلك . ثم
يبلغ به الرِّضى - إذا رَضِيَ - أن يتبرَّع بالأمر ذي الخطر^١
لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ، ويُعطى ممن لم يكن يُريد إعطاءه ،
ويُكرم ممن لم يُرد إكرامه ولا حق له ولا مودة عنده
فاحذر هذا الباب الحذر كله ! فإنه ليس أحد أسوأ
فيه حالاً من أهل السلطان الذين يفرطون بأقذارهم في
غضبهم ، ويتسرَّعهم في رضاهم . فإنه لو وُصف بهذه الصفة من
يَلْبَسُ بعقله أو يتخبطه المس^٢ أن يُعاقب عند غضبه غير
من أغضبه ويحبو^٣ عند رضاه غير من أرضاه لكان جائزاً
ذلك في صفته

طَبْ

(١١)

(في أنواع الملك)

اعلم أن الملك ثلاثة : مُلك ديني ، ومُلك حزمي ،

١ الخطر بالتحريك : عظم الأمر ورفعة شأنه ٢ المس بالفتح : الجنون ، وقد
كان العرب يزعمون أن الشيطان يمس الرجل فيختلط عقله ٣ يقال : جباقلنا كذا ،
وبكذا : أعطاه ، وأما جباه عن كذا فبمعني منه

وَمُلْكُ هَوَى

فَأَمَّا مُلْكُ الدِّينِ فَانْه إِذَا أَقَامَ لِلرَّعِيَّةِ دِينَهُمْ - وَكَانَ
دِينُهُمْ هُوَ الَّذِي يُعْطِيهِمُ الَّذِي لَهُمْ وَيُلْحِقُ بِهِمُ الَّذِي عَلَيْهِمْ
أَرْضَاهُمْ ذَلِكَ ، وَأَنْزَلَ السَّخَطَ مِنْهُمْ مَنْزِلَةَ الرَّاضِي فِي
الْإِقْرَارِ وَالتَّسْلِيمِ

وَأَمَّا مُلْكُ الْحَزْمِ فَانْه يَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ وَلَا يَسْتَلِمُ مِنْ
الطَّعْنِ وَالتَّسْخِطِ . وَلَنْ يَضُرَّ طَعْنُ الضَّعِيفِ مَعَ حَزْمِ الْقَوَى
وَأَمَّا مُلْكُ الْهَوَى فَلَعِبُ سَاعَةٍ وَدَمَارُ دَهْرٍ

طَبْ

(١٢)

(فِي التَّحْذِيرِ مِمَّا لَمْ يَنْ عَلِي حَزْمٍ مِنْ أَعْمَالِ السُّلْطَانِ)

إِذَا كَانَ سُلْطَانُكَ عِنْدَ جَدَّةٍ ١ دَوْلَةٍ ، فَرَأَيْتَ أَمْرًا
أَسْتَقَامَ بغيرِ رَأْيٍ ، وَأَعْوَانًا أَجْزَوْا ٢ بغيرِ نَيْلٍ ، وَعَمَلًا أُنْجَحَ ٣

١ الجدة بالكسر فالتشديد : ضد القدم ، وأصله من جسد الحائك الثوب :
قطعه ، وجد الثوب صار جديدًا : يريد : في إبان ظهور الدولة ونشأة السلاطين
٢ الاجزاء والجزاء : الغناء والكفاية ، يقال : جزا عنك وأجزى إذا غني
غناءك وكفالك مهما من أمرك . والمهموز الذي اختاره ابن المقفع : إنما هو لغة
ميم ٣ نجح الأمر وانجح : قضى وتيسر ، وأنجح فلان في أمره : ظفر به

بغير حزم ، فلا يُعْرَضُ نَكَ ' ذلك ولا تَسْتَنِيْمَنَّ إِلَيْهِ . فانَّ الأمر

وانجح الله حاجتك : قضاها ، كل ذلك ثبت في اللغة صحيح في استعمال الفصحاء .
وزعم صاحب السعادة احمد زكي باشا ان هذا الفعل : انهمز اختص بالعقلاء وهو
تخصيص غريب لا تعرفه اللغة ولم يستطع المحقق نفسه ان يثبت عليه بل اضطر
الى ان يعترف بان في اللغة انجحت الحاجة : اذا تيسرت ثم قال : اما النجح فخاص بالعقلاء ؟
بمعني فاز وظفر وهو اضطراب غريب في التخصيص فان هذا الاختلاف المعنوي
لم ينشأ الا من اختلاف الاسناد

الا تري أن المحقق نفسه وسائر اللغويين يتفقون على (انجحت الحاجة
وانجحها الله) مع ان اختلاف الاسناد جعل في الفعلين اختلافا معنويا واقظيا
لاشك فيه

أما المعنوي فان انجاح الحاجة ، تيسرها : وانجاح الله اياها : تيسيره لها
وأما اللفظي فظاهر وهو أن أول الفعلين لازم مطاوع لثانيهما المتعدي
١ المعروف : ان نون التوكيد الثقيلة هي كالخفيفة ترد في النظم كما ترد في النثر وتؤديان
وظيفة واحدة وأن انفرد الخليل بأن التأكيد بالثقيلة عنده أبلغ من التأكيد بالخفيفة .
غير ان زكي باشا يذكر في استدراكاته قوله (ومعلوم ان أكثر استعمال
هذه النون (أي الخفيفة) انما يكون في النظم والاولى أن تكون هنا ثقيلة) وهو
قول ليس بوجيه ، لان النون الخفيفة كثيرا ما وردت في المنثور الا انها في المنظوم
أعين لمساعدة الوزن على توضيحها ، بخلاف المنثور الذي قل فيه الضبط فلم تعلم فيه
الخفيفة من الثقيلة . على انهما وردتا في التنزيل . قالت امرأة العزيز : ولئن لم يفعل
ما أمره لئسجنن ولدك ونامن الصاغرین . وعندى ان النون الخفيفة في هذه الآية
قد أدت وظيفة الثقيلة من تأكيد الوعيد . بالرغم مما قيل في هذه الآية من أن
الخفيفة ما اكتسبت هذا التأكيد الا من الثقيلة قبلها . يؤيد ذلك قوله تعالى :
كلا لئن لم ينته لنسفنا بالناصية . ومعلوم ان هذه الآية نزلت في أبي جهل
اذ حلف بالللات والعزى . لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليظأن
على رقبته ويعفرن وجهه بخاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فما جأهم
منه الا وهو ينكص على عقبيه وينفي يديه فقل : له في ذلك ، فقال : ان بيني وبينه

الجديد رُبما يكون له مهابةٌ في أنفُس أُقوام وحلاوة في قلوب
آخَرين ، فيُعِينُ قومٌ على أنفُسهم ويعيِّن قومٌ بما قبلهم .
ويَسْتَتِبُّ ذلك الأمرُ غيرَ طویلٍ ، ثم تصير الشؤن إلى
حقائِقها وأصولها

فما كان من الأمور بُنيَ على غير أركانٍ وثيقةٍ ولا
دعائمٍ مُحْكَمَةٍ أو شاكٍ أن يتداعى ويتصدع
لا تكوننَّ نَزْر الكلام والسلام ، ولا تَبْلُغَنَّ بهما إفراط
المُشاشة والبشاشة . فإنَّ إحداهما من الكِبَر والأخرى
من السُّخْفِ

لخندقاً من نارٍ وهولاً واجتحة إلى آخر ما ورد مما هو مشهور . فالقمام مقام رَدع
وزجر ووعيد . ومعنى لِنَسْغاً بالماضية : لما أخذ بنِصائِته ولنسجبن بها إلى النار يوم
القيامة فأدت الخفيفة هنا وظيفة الثقيلة أيضاً . فإن قيل إن تأكيد التهديد والوعيد
قد اكتسب أيضاً من كلمة (كلا) قباحتها كان هذا غير مقبول أيضاً لورودها
في بعض القراءات بالثقيلة : فقد قرأ محبوب وهارون : وكلاهما عن أبي عمرو
(لنسغن) بالنون الشديدة . وقرأ ابن مسعود (لاسغن) كذلك مع اسناد
العمل إلى ضمير المتكلم وحده

فتبين الآن أن الخفيفة تؤدي ما تؤديه الثقيلة وقد تقوم مقامها ولا وجه إذا
الأولوية التي ذكرها المحقق في نسخته . على أن ابن المقفع راعى في ذلك كله
الأسلوب والبساطة النفس الذي يجري مع الخفيفة ويسلس في هذا التركيب

(١٣)

مطلب

(في حض السلطان على التوثق من رأى الاعوان قبل الاقدام)
 إذا كنت إنما تضبط أمورك وتصول على عدوك
 بقوم لست منهم على ثقة من دين ولا رأى ولا حفاظ^١
 من نية فلا تفعل نافلة^٢ حتى تحملهم - إن استطعت - على
 الرأى والأدب الذى بمثله تكون الثقة ، أو تستبدل بهم ،
 إن لم تستطع نقلهم إلى ما تريد . ولا تغرنك قوتك بهم على
 غيرهم . فانما أنت فى ذلك كراكب الأسد الذى يهابه من
 نظر إليه ، وهو لمركبته أهيب

١ أصل الحفاظ : الذود عن المحارم : يريد ان لم تثق ممن تصول بهم على
 عدوك بأن ذودهم عنك ومساعدتهم اياك صادر عن بصيرة ونية . . .
 ٢ رويت فلا تفعل نافلة . والنافلة : ما يفعله الانسان مما ليس بواجب عليه .
 واستأجد لها معنى يتفق مع سابقها ولاحقها . وكذلك وردت : فلا تنفك نافلة .
 وهذه الرواية كسابقتها لا تنفع غلة ولا تشفى علة
 وأما نحن فنقد رجحنا أنها : فلا تنفك داعية . وتحريف (نافعة) عن (داعية)
 سهل وقريب . والمعنى على ذلك بين لاشبهة فيه . يريد : ان لم تكن على ثقة
 من دخیلة اعوانك فلا تزل فيهم داعية تبرر رأيك وتدعم حججك وتقوى عقيدتك
 حتى تحملهم على أن يكونوا موضعاً لثقتك
 وربما قيل فى هذا التحريف (فلا تنفك نافعة) وهذه الجملة مع قربها وامكان
 موافقتها لا يزال فيها شئ من خفاء

مطلب

(١٤)

(في تحذير السلطان من أُمات الرذائل : الغضب والكذب والبخل وكثرة الخلف)
 ليس للملك أن يغضب ، لأنَّ القدرة من وراء حاجته
 وليس له أن يكذب ، لأنَّه لا يقدر أحد على استكراهه
 على غير ما يُريد

وليس له أن يبخل ، لأنَّه أقلُّ الناس عذراً في تخوُّف الفقر
 وليس له أن يكون حقوداً ، لأنَّ خطره قد عظم عن
 مجاراة كل الناس

وليس له أن يكون حلاًفاً ، لأنَّ أحقَّ الناس باتِّقاء الأيمان
 الملوكة ، فإنما يحمل الرجل على الحلف إحدى هذه الخصال .
 إما مهانة^٢ يجدها في نفسه ، وضرع^٣ وحاجة إلى تصديق
 الناس إياه

وإما عي^٤ بالكلام ، فيجعل الأيمان له حشواً ووصلاً ،

١ يريد : لأن عظم قدره ورفعة شأنه تأتي عليه أن يجارى الناس في رذائلهم
 ٢ المهانة : المذلة ٣ الضرع محرّكة : الضعف وهو مصدر ضرع كفرح
 اغتفى ضرع إليه كقطع ومصدره ضراعة ٤ العي بالكسر مصدر عى الرجل
 بأمره ، وعن أمره وعيى بالنك ، والادغام أكثر . والفعل كعلم والمعنى لم يهتد
 إلى وجه مراده أو عجز ولم يطق أحكامه

وإِذَا مَا نُهِمَّةٌ قَدْ عَرَفَهَا مِنَ النَّاسِ لِحَدِيثِهِ، فَهُوَ يُنْزِلُ نَفْسَهُ
مَنْزِلَةً مَنْ لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ إِلَّا بَعْدَ جَهْدِ الْيَمِينِ^١
وإِذَا مَا عَبَثَ^٢ بِالْقَوْلِ وَإِرْسَالُ^٣ لِّلِّسَانِ عَلَى غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا
حُسْنِ تَقْدِيرٍ، وَلَا تَعْوِيدٍ لَهُ قَوْلَ^٤ السَّدَادِ وَالتَّثْبُتِ

مَطْلَبُ

(١٥)

(فِي أَنْ لَا عَيْبَ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَلْهُو إِذَا وَثِقَ مِنْ تَدْيِيرِ مَلِكِهِ)
لَا عَيْبَ عَلَى الْمَلِكِ فِي تَعْيِشِهِ وَتَنْعَمِهِ وَلَعِبِهِ وَلَهْوِهِ، إِذَا
تَعَاهَدَ^٥ الْجَسِيمَ مِنْ أَمْرِهِ بِنَفْسِهِ، وَأَحْكَمَ الْمُهْمَّ، وَفَوَّضَ مَادُونَهُ
ذَلِكَ إِلَى الْكُفَاةِ^٦

مَطْلَبُ

(١٦)

(فِي أَنْ لِحَقِّ النَّاسِ بِإِثْمَانِ نَظَرِهِ بَعَيْنِ الرِّيَّةِ السَّلْطَانِ)
كُلُّ أَحَدٍ حَقِيقٌ^٧ - حِينَ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ النَّاسِ - أَنْ
يَتَنَبَّهُ^٨ نَظَرَهُ بَعَيْنِ الرِّيَّةِ^٩، وَقَلْبَهُ بِمَعْنَى الْمَقْتِ^{١٠}، فَانْهَمَا يَنْزِيحَانِ

١ أي بعد المبالغة في اليمين ٢ العبث محرقة : اللغو ٣ قول : مفعول
ثان لتعويد لانه ينصب مفعولين ٤ يقال : تعاهد الشيء وتعهد : تفقده
٥ الكفاة : جمع كاف وهو ما يكفيك ٦ الرية بالكسر : الشك كالريب
٧ بالفتح ٨ المقت : البغض والكراهة مصدر مقت كنصر

الْجَوْرُ^١ ، وَيَحْمِلَانِ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَيُقَبِّحَانِ الْحَسَنَ ، وَيُحَسِّنَانِ
الْقَبِيحَ

وَأَحَقُّ النَّاسُ بِأَتِّهَامِ نَظَرِهِ بِعَيْنِ الرِّيَّةِ وَعَيْنِ الْمُقْتِ
السلطان الذي ما وقع في قلبه رِبَا^٢ مع ما يَشِيْضُ له من تزوين
القرناء والوزراء

وَأَحَقُّ النَّاسُ بِإِجْبَارِ نَفْسِهِ عَلَى الْعَدْلِ فِي النَّظَرِ وَالْقَوْلِ
وَالْفِعْلِ الْوَالِي الَّذِي مَا قَالَ أَوْ فَعَلَ كَانَ أَمْرًا نَافِذًا غَيْرَ مُرَدُّودٍ
لِيَعْلَمَ الْوَالِي أَنَّ النَّاسَ يَصِفُونَ الْوُلَاةَ بِسُوءِ الْعَهْدِ
وَنِسْيَانِ الْوُدِّ . فَلْيُكَابِرْ نَقْضَ قَوْلِهِمْ ، وَلْيُطِيلْ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ
الْوُلَاةِ صِفَاتِ السُّوءِ الَّتِي يُوصِفُونَ بِهَا

مَطْلَبُ

(١٧)

(فِي حَضْرِ السُّلْطَانِ عَلَى الْإِمَامَانِ فِي تَنْقِذِ أَمْرِ رَعِيَّتِهِ)
حَقُّ الْوَالِي أَنْ يَتَفَقَّدَ لَطِيفَ أُمُورِ رَعِيَّتِهِ ، فَضْلًا عَنْ
جَسِيمِهَا ، فَإِنَّ لِلَّطِيفِ مَوْضِعًا يَنْتَفِعُ بِهِ ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا
لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ

١ الجور : الظلم وتجاوز الحد ، مصدر جار كقال ٢ ربا يربو : زاد كنهاشمو

لِيَتَفَقَّدَ الْوَالِي - فِيمَا يَتَفَقَّدُ مِنْ أُمُور رَعِيَّتِهِ - فَاَقَّةٌ^١
 الْأَخْيَارَ وَالْأَحْرَارَ مِنْهُمْ ، فَلْيَعْمَلْ فِي سَدِّهَا ، وَطُغْيَانِ السُّفَلَةِ
 مِنْهُمْ فَلْيَقْمَعَهُ ،^٢ وَلْيَسْتَوْحِشْ^٣ مِنَ الْكَرِيمِ الْجَائِعِ وَاللَّئِيمِ
 الشَّبَعَانِ ، فَإِنَّمَا يَصُولُ الْكَرِيمُ إِذَا جَاعَ ، وَاللَّئِيمُ إِذَا شَبِعَ

مَطَبٌ

(١٨)

(فِيمَا يَنْبَغِي لِلْوَالِي أَنْ يَتَخَلَّى عَنْهُ)

لَا يَنْبَغِي لِلْوَالِي أَنْ يَحْسُدَ الْوَلَاةَ إِلَّا عَلَى حَسَنِ التَّدْبِيرِ .
 وَلَا يَحْسُدَنَّ الْوَالِي مَنْ دُونَهُ ، فَإِنَّهُ أَقْلٌ فِي ذَلِكَ عُذْرًا
 مِنَ السُّوْءَةِ الَّتِي إِنَّمَا تَحْسُدُ مَنْ فَوْقَهَا ، وَكُلُّ لَا عُذْرَ لَهُ
 لَا يَلُومَنَّ الْوَالِي عَلَى الزَّلَّةِ مَنْ لَيْسَ بِمُتَّبِعٍ عِنْدَهُ فِي
 الْحَرَصِ عَلَى رِضَاهُ إِلَّا تَوْمٌ أَدَبٍ وَتَقْوِيمٌ ، وَلَا يَعْدِلَنَّ
 بِالْمُجْتَهِدِ فِي رِضَاهِ الْبَصِيرِ بِمَا يَأْنِي أَحَدًا

فَإِنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْوَزِيرِ وَالصَّاحِبِ نَامَ الْوَالِي
 وَأَسْتَرَاحَ ، وَجُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَاتُهُ ، وَإِنْ هَدَأَ عَنْهَا ، وَعُمِلَ لَهُ

١ الفاقة : الحاجة والفقر ٢ يريد فليعرفه عنه ٣ استوحش : ضد
 استأنس يريد لا تؤمن له ولا تستسلم إليه

فَمَا يُهَمُّهُ وَإِنْ غَفَلَ

لَا يُؤْلَعَنَّ الْوَالِي بِسُوءِ الظَّنِّ لِقَوْلِ النَّاسِ، وَلِيَجْعَلَ لِحَسَنِ
الظَّنِّ مِنْ نَفْسِهِ نَصِيْبًا مَوْفُورًا يُرَوِّحُ^١ بِهِ عَنْ قَلْبِهِ وَيُصْدِرُ^٢
عَنْهُ فِي أَعْمَالِهِ

لَا يُضَيِّعَنَّ الْوَالِي التَّثَبُّتَ عِنْدَ مَا يَقُولُ، وَعِنْدَ مَا يُعْطِي،
وعِنْدَ مَا يَعْمَلُ

فَإِنَّ الرِّجُوعَ عَنِ الصَّمْتِ أَحْسَنُ مِنَ الرِّجُوعِ هُنَا
الْكَلَامِ، وَإِنَّ الْعَطِيَّةَ بَعْدَ الْمَنْعِ أَجْمَلُ مِنَ الْمَنْعِ بَعْدَ الْإِعْطَاءِ،
وَإِنَّ الْإِقْدَامَ عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ التَّأَنِّي فِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الْإِمْسَاكِ
عَنْهُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ

وَكُلُّ النَّاسِ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّثَبُّتِ
وَأَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ مَلُوكُهُمُ الَّذِينَ لَيْسَ لِقَوْلِهِمْ وَفِعْلِهِمْ دَافِعٌ،
وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مَسْتَحِثٌّ

١ يخفف به عن نفسه وينفس عن قلبه ٢ يقال اصدرت في الامر عن
رأى حازم أي مضيت فيه بتثبت وروية • ونظان لفظ (في) سقط من النسخ
في بعض النسخ

(١٩)

مطلب

(في حث السلطان على الاخذ بالدين والبر والمروءة)
 لِيَعْلَمَ الْوَالِي أَنَّ مِنَ النَّاسِ حُرَّصَاءَ عَلَى زِينَةٍ^١، إِلَّا مَن
 لَا بَالَ لَهُ^٢. فَلْيَكُنْ لِلدِّينِ وَالْبِرِّ وَالْمُرُوءَةِ عِنْدَ تَقَاتُ^٣،
 فَيُكْسِدَ^٤ بِذَلِكَ الْفُجُورَ وَالِدَنَاءَةَ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ

(٢٠)

مطلب

(فيما يحتاج اليه الوالي من الآراء)
 جَمَاعَ^٥ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْوَالِي مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا أَيْ: رَأْيِ
 يَقْوَى بِهِ سُلْطَانَهُ، وَرَأْيِ يَزِينُهُ فِي النَّاسِ
 وَرَأْيِ الْقُوَّةِ أَحَقَّهُمَا بِالْبُدَاءَةِ وَأَوْلَاهَا بِالْآثَرَةِ^٦
 وَرَأْيِ التَّزِينِ أَحْضَرُهَا حِلَاوَةً وَأَكْثَرُهَا أَعْوَانًا
 مَعَ أَنَّ الْقُوَّةَ مِنَ الزَّيْنَةِ، وَالزَّيْنَةَ مِنَ الْقُوَّةِ. وَلَكِنْ
 الْأَمْرُ يُنْسَبُ إِلَى مُعْظَمِهِ وَأَصْلِهِ

١ أي حريصين على أن يشبهوه في أعماله ويقتدوا به في فعله ٢ البال :
 الخطر ويريد الامن لاهمة له ولا خطر ٣ النفاق : الرواج ٤ يريد فيقال
 بذلك ... ٥ جماع الشيء بالسكسر : جمعه ٦ الاثرية بالتحريك : الاختيار
 واختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره

الباب الثاني

(في صحبة السلطان)

طلب

(٢١)

(في تحذير مصاحب السلطان أن يغتر باستثنائه)

إِنْ أَتَيْتَ بِصَحْبَةِ السُّلْطَانِ فَعَلَيْكَ بِطَوْلِ الْمَوَاضِبَةِ فِي
غَيْرِ مَعَاتِبَةٍ ، وَلَا يُحْدِثَنَّ لَكَ الْإِسْتِثْنَاءُ بِهِ غَفْلَةً وَلَا تَهَاوُنًا
إِذَا رَأَيْتَ السُّلْطَانَ يَجْعَلُكَ أَخًا فَأَجْعَلْهُ أَبًا ، ثُمَّ إِنْ
زَادَكَ فَزِدْهُ

إِذَا نَزَلْتَ مِنْ ذِي مَنْزِلَةٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا تَرَيْنَّ أَنَّ
سُلْطَانَهُ زَادَكَ لَهُ تَوْقِيرًا وَإِجْلَالًا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَكَ وَدًّا وَلَا
نَصْحًا ، وَأَنَّكَ تَرَى حَقًّا لَهُ التَّوْقِيرَ وَالْإِجْلَالَ . وَكُنْ فِي مَدَارَاتِهِ
وَالرَّفَقِ بِهِ كَالْمَوْتَنِفِ مَاقْبِلَهُ وَلَا تُقَدِّرِ الْأَمْرَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَلَى
مَا كُنْتَ تَعْرِفُ مِنْ أَخْلَاقِهِ ، فَإِنَّ الْأَخْلَاقَ مُسْتَحِيلَةٌ مَعَ الْمَلِكِ

وربما رأينا الزجل المذل على ذي السلطان بقدمه قد
أضر به قدمه

إن استطعت ألا تصحب من صحبت من الولاية
إلا على شعبة^١ من قرابة أو مودة^٢، فأفعل. فإن أخطأك
ذلك فأعلم أنك إنما تعمل على السخرة^٣

إن استطعت أن تجعل صحبتك لمن قد عرفك بصالح
مروءتك وصحة دينك وسلامة أمورك قبل ولايته فأفعل
فإن الوالي لا يعلم له بالناس إلا ما قد علم قبل
ولايته. أما إذا ولي فكل الناس يلقاه بالترين والتصنع^٤،
وكلهم محتمل لأن يثنى عليه عنده بما ليس فيه. غير أن الأئذال
والأردال هم أشد ذلك تصنعا وأشد عليه مباشرة وفيه تمحلا^٥

فلا يمتنع الوالي - وإن كان بليغ الرأي والنظر - من
أن ينزل عنده كثير من الأشرار بمنزلة الأختيار، وكثير

١ الشعبة : الطائفة من كل شيء. ٢ السخرة : ما سخرت من خادم ودابة
بلا أجر ولا ثمن ٣ يقال : تصنع الرجل : تكلف حسن السمات والترين
واظهر عن نفسه فعلا ليس فيه

من الخانة بمنزلة الأمانة ، وكثير من الغدرة بمنزلة الأوفياء ،
ويقتضى عليه أمر كثير من أهل الفضل الذين يصونون
أنفسهم عن التحمل والتصنع

طلب

(٢٢)

(في تحذير أمير السلطان من اكثار ألفاظ الملق)

إذا عرفت نفسك من الوالي بمنزلة الثقة ، فاعزل عنه
كلام الملق ، ولا تكثرن من الدعاء له في كل كلمة ، فإن ذلك
شبيهة بالوَحْشة والغربة : إلا أن تسكّمه على رؤوس الناس ،
فلا تال عما عظمه ووقره

طلب

(٢٣)

(في الحذر من أن يظن الوالي بك مشايعة الهوى)

لا يعرفك الولاية بالهوى في بلد من البلدان ولا قبيلة
من القبائل ، فيؤشك أن تحتاج فيهما إلى حكاية أو شهادة ،

١ الخانة : جمع خائن كما يجمع أيضا على خونة وخائنين ٢ الغدرة كنفجرة
جمع غادر كفاجر وهو الذي اقبمت في المعاصي ففسق وزنى

فَتَنَّهُمْ فِي ذَلِكَ

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكَ فَصَحِّحْ رَأْيَكَ وَلَا
تَشُوبَّهِ^١ بِشَيْءٍ مِنَ الْهَوَى ، فَإِنَّ الرَّأْيَ الصَّحِيحَ يَقْبَلُهُ مِنْكَ
الْعَدُوُّ ، وَالْهَوَى يَرُدُّهُ عَلَيْكَ الْوَلَدُ وَالصَّدِيقُ
وَأَحَقُّ مَنْ أَحْتَرَسْتَ مِنْ أَنْ يَظُنَّ بِكَ خُلْطَ الرَّأْيِ
بِالْهَوَى الْوَلَاةُ . فَإِنَّهَا خَدِيعَةٌ وَخِيَانَةٌ وَكُفْرٌ عِنْدَهُمْ

مَطْلَبُ

(٢٤)

(فِي التَّنْفِيرِ مِنْ صُحْبَةِ وَالٍ لَا يُرِيدُ صِلَاحَ رَعِيَّتِهِ)

إِنْ أَتَيْتَ بِصُحْبَةِ وَالٍ لَا يُرِيدُ صِلَاحَ رَعِيَّتِهِ فَاعْلَمْ
أَنَّكَ قَدْ خُيِّرْتَ بَيْنَ خَلَّتَيْنِ أَلَيْسَ مِنْهُمَا خِيَارٌ :
إِمَّا الْمَيْلُ مَعَ الْوَالِي عَلَى الرِّعْيَةِ ، وَهَذَا هَلَاكُ الدِّينِ ،
وَإِمَّا الْمَيْلُ مَعَ الرِّعْيَةِ عَلَى الْوَالِي ، وَهَذَا هَلَاكُ الدُّنْيَا
وَلَا حِيلَةَ لَكَ إِلَّا الْمَوْتُ أَوْ الْهَرَبُ .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ - وَإِنْ كَانَ الْوَالِي غَيْرَ مَرْضِيٍّ

١ أَي لَا تَخْطِئْهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْهَوَى ٢ الْخَلَّةُ بِالْفَتْحِ : الْخَصْلَةُ

السيرة ، إذا عُلِّقَتْ حبالُك بحباله - إلا المحافظةُ عليه ، إلا
أنْ تَجِدَ إلى الفِراقِ الجميلِ سبيلا

تَبَصَّرَ ما في الوالي من الأخلاق التي تُحِبُّ له والتي
تَكْرَهُ ، وما هو عليه من الرأي الذي تَرْضَى له والذي
لا تَرْضَى . ثم لا تُكابرَنَّه بالتحويل له عما يُحِبُّ وَيَكْرَهُ
إلى ما تُحِبُّ وَتَكْرَهُ . فَإِنَّ هذه رياضة صعبة تحملُ على
التنائي والقلبي

فإنك قلما تقدرُ على ردِّ رجلٍ عن طريقةٍ هو عليها
بالمكابرة والناقضة ، وإن لم يكن ممن يجمعُ به عنُ السلطان .
ولكنك تقدرُ على أن تُعينه على أحسن رأيه ، وتُسدِّدَه
فيه وتزَيِّنَه ، وتُقَوِّيه عليه . فإذا قَوِيَتْ منه الحاسنُ كانت
هي التي تكفيك المساوي . وإذا أَسْتَحْكَمَتْ منه ناحية
من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يُبَصِّرُه مواقعَ
الخطأ بالطف من تبصيرك وأعدلَ من حُكْمِكَ في نفسه .
فإنَّ الصوابَ يُؤَيِّدُ بعضُه بعضًا . ويدعو بعضُه إلى بعض

حتى تستحكم لصاحبه الأشياء ، ويظهر عليها بتحكيم الرأي .
 فإذا كانت له مكانة من الأصالة آقتلَع ذلك الخطأ كله .
 فأحفظ هذا الباب وأحكمه .

طَبْ

(٢٥)

(فيما ينبغي لطالب الحاجة لدى السلطان)

لا يكونَنَّ طلبك ما عند الوالى بالمسألة ^١ ، ولا تستبطئه ،
 وإن أبطأ عليك ^٢ . ولكن أطلب ما قبله بالاستحقاق له ،
 واستأن به ^٣ ، وإن طالت الأناة منه . فانك إذا استحققتَه
 أتاك عن غير طلب ، وإن لم تستبطئه كان أعجل له

طَبْ

(٢٦)

(في تحذير صاحب السلطان من الادلال عليه)

لا تُخبرَنَّ الوالى أَنَّ لك عليه حقاً ، وَأَنَّكَ تَعْتَدُّ عليه
 ببلاء . وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك فافعل .
 وليكن ما يذكره به من ذلك تجديدك له النصيحة

١ السؤال ٢ يقال أبطأ عليه بالامر : أخره ٣ من استأني بالامر :

والآجتهاد ، وألا يزال ينظرُ منك إلى آخرِ يذكركه
أولَ بلائك

وأعلم أن السلطان إذا انقطع عنه الآخِرُ نسي الأول ،
وأن الكثير من أولئك أرحامهم مقطوعة وحبائلهم مضرومة ،
إلا عمن رَضُوا عنه وأغنى عنهم^١ في يومهم وساعاتهم

طَبْ

(٢٧)

(في تحذير صاحب السلطان من التعتب عليه والاستزراء له)

إياك أن يقع في قلبك تعتب^٢ على الوالى أو استزراء له ..

فانه إن وقع في قلبك بدآ في وجهك ، إن كنت حليماً ،

وبدآ على لسانك ، إن كنت سفيها

فإن لم يزد ذلك على أن يظهر في وجهك لآمن الناس

عندك فلا تأمنن أن يظهر ذلك للوالى

فإن الناس إلى السلطان بعورات الإخوان سراع^٣ .

فاذا ظهر ذلك للوالى كان قلبه هو أسرع إلى النفور والتغير

١ أي اجزأ وقام مقامهم ٢ التعتب : تخاطب الادلال . وفلان لا يتعتب
عليه في شيء أى لا يعاب . ومن هنا أراد ابن المقفع

من قلبك . فَمَحَقَ ذلك حسناتك الماضية ، وأشرف بك على
 الهلاك ، وصرت تعرف أمرَكَ مستديراً ، وتلتبس مرضاة
 سلطانك مستصعباً . ولو شئتَ كنتَ تركته راضياً ،
 وازددت من رضاه دُوراً

طَبْ

(٢٨)

(في حض الوزير على الخذر من أعدائه والترويج عن نفسه)
 اِعلم أن أكثرَ الناسِ عدواً جَاهِداً حاضراً جريئاً
 وأشيا وزيرُ السلطان ذو المكانة عنده . لأنه منفوسٌ عليه^١
 مكانه بما ينفسُ على صاحب السلطان ، ومحسودٌ كما يُحسدُ . غير
 أنه يُجترأ عليه ، ولا يُجترأ على السلطان . لأن من
 حاسديه أحياء^٢ السلطان وأقاربه الذين يشاركونه في المداخل
 والمنازل . وهم وغيرهم من عدوِّه الذين هم حضَّاره ليسوا
 كعدوِّ السلطان النائي عنه والمُكْتَتَم منه . وهم لا ينقطع

١ محسود عليه ٢ كذلك وردت بالباء المشددة في أكثر النسخ ولكن زكى
 باثنا عدل عنها الي (أحياء) بالتحية زاعماً أن الأحياء لا يتقدمون في الذكر على الأقارب
 وأما نحن فإنا نرى الأحياء في أول مراتب الذكر ولا سيما لدى السلطان الذي
 لا يخفى على أحد ما يكنه الأهل والأقارب له

طمعهم من الظفر به ، فلا يغفلون عن نصب الحبائل له
 فأعرف هذه الحال ، وألبس هؤلاء القوم - الذين هم
 أعداؤك - سلاح الصحة والاستقامة ولزوم المحجة فيما
 تُسر وتعلن . ثم رَوِّحْ عن قلبك حتى كأنك لا عدو لك
 ولا حاسد

وإن ذكرتك ذاكرٌ عند السلطان بسوءٍ في وجهك أوفى
 فييتك فلا يرين السلطان ولا غيره منك اختلاطاً لذلك ولا
 اختياطاً ولا ضجراً ، ولا يقعن ذلك في نفسك موقع ما يكرئك^١
 فإنه إن وقع منك ذلك الموضع ، أدخل عليك أموراً مشتبهة
 بالرئية ، مذكرة لما قال فيك العائب . وإن اضطرك الأمر
 في ذلك إلى الجواب فإياك وجواب الغضب والانتقام ،
 وعليك بجواب الحجة في حليم ووقار
 ولا تشكن في أن الغلبة والقوة للحليم أبداً

(٢٩)

طَبْ

(في حض الوزير على التحفظ في القول والحرص على الاجابة)
 لا تتكلمن عند الوالى كلاماً ابداً إلا لعناية ، أو يكون
 جواباً لشيء سئلت عنه . ولا تحضرن عند الوالى كلاماً ابداً
 لا تعنى به ، أو تؤمر بحضوره

ولا تعدن شتم الوالى شتماً ، ولا اغلاظة اغلاظاً ،
 فان ريح العزة قد تبتسط اللسان بالغلظة في غير سخط ولا بأس

(٣٠)

طَبْ

(في مجانبة المسخوط عليه من السلطان حتى يتوب فتشفع له)
 جانب المسخوط عليه والظنين^١ به عند السلطان .
 ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل ، ولا تظهرن له عذراً ،
 ولا تثنين عليه خيراً عند أحد من الناس
 فاذا رأيته قد بلغ من الإعتاب^٢ مما سخط عليه فيه ما
 ترجو أن تلسين له به قلب الوالى ، واستيقنت أن الوالى قد

١ الظنين : المتهم من الظنة بالكسر وهى التهمة

٢ من قولهم اعتبني فلان اذا عاد الى مسرتي راجعاً عن الاساءة

أَسْتَيْقِنُ بِمَبَاعِدَتِكَ أَيَّاهُ وَشِدَّتِكَ عَلَيْهِ عِنْدَ النَّاسِ فُضِعَ عُدْرُهُ
عِنْدَ الْوَالِي وَاعْمَلْ فِي إِرْضَائِهِ عَنْهُ فِي رَفْقٍ وَلُطْفٍ

طَبْ

(٣١)

(لِي خُضُوعُ الْوَزِيرِ لِلْإِمَارَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ)
لِيَعْلَمَ الْوَالِي أَنَّكَ لَا تَسْتَنْكِفُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خِدْمَتِهِ .
وَلَا تَدَّعِ مَعَ ذَلِكَ أَنْ تُقَدِّمَ إِلَيْهِ الْقَوْلَ - عَلَى بَعْضِ حَالَاتِ
رِضَاهِ وَطَيْبِ نَفْسِهِ - فِي الْإِسْتِعْفَاءِ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ أَهْلُهَا
أَنْ يَكْرَهَهَا ذُو الدِّينِ وَذُو الْعَقْلِ وَذُو الْعَرِضِ وَذُو الْمُرُوءَةِ :
مِنْ وَلَايَةِ الْقَتْلِ وَالْعَذَابِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ

وَإِذَا أَصَبْتَ الْجَاهَ وَالْخَاصَّةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، فَلَا يَحْدِثُ
لَكَ ذَلِكَ تَغْيِيرًا عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهِ وَأَعْوَانِهِ ، وَلَا اسْتِعْفَاءً عَنْهُمْ
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَرَى أَدْنَى جَفْوَةٍ أَوْ تَغْيِيرٍ فَتَذِلَّ لَهُمْ فِيهَا
وَفِي تَلَوُّنِ الْحَالِ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْعَارِ مَا فِيهِ

لِيَكُنْ مِمَّا تُحْكِمُ مِنْ أَمْرِكَ الْأَتْسَارَ أَحَدًا مِنْ
النَّاسِ وَلَا تَهْمِسَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ تُخْفِيهِ عَلَى السُّلْطَانِ أَوْ تُعْلِنُهُ . فَإِنَّ

السِّرار مما يُخَيِّلُ إلى كل من رآه من ذى سلطان أو غيره أنه
المراد به . فيكون ذلك في نفسه حَسِيكَةً^١ ووَغْرًا^٢ وُثْقَلًا^٣

مطب

(٣٢)

(في تجنب الكذبة وتنكب التظاهر بأعمل لدى السلطان)
لَا تَهَاوَنَنَّ بِإِرسال الكَذْبَةِ عند الوالى أو غيره في الهزل ،
فإنها تُسرع في إبطال الحق وردَّ الصديق مما تأتى به
تنكب^٢ فيما بينك وبين السلطان ، وفيما بينك وبين
الإخوان خُلُقًا قد عَرَفناه في بعض الوزراء والأعوان
وأصحاب الأيَّام في ادِّعاء الرجل - عندما يَظْهَرُ من صاحبه
حُسْنُ أثر أو صوابُ رأى - أنه عَمِلَ في ذلك وأشار به ،
وإقراره بذلك إذا مدحه به مَدَحٌ . وإن استطعت أن
تُعرِّفَ صاحبك أنك تَنَحُّله^٣ صوابَ رأيك - فضلًا عن
أن تدَّعى صوابه - وتَسْنِدَ ذلك إليه وتزَيِّنَهُ به فافعل

١ الحسيكة : الحقد والعداوة . وأما الوغر فشدة الغيظ ، من الوغرة التي

هى شدة توقد الحر ٢ أي تجنب

٣ من قولهم نحلته القول : أضفته اليه دون أن يكون له فيه أثر

فَإِنَّ الَّذِي أَنْتَ آخِذٌ بِذَلِكَ أَكْثَرُ مِمَّا أَنْتَ مُعْطٍ

بِأَضْعَافٍ

مَطْنٌ

(٣٣)

(في التحذير من الاجابة عن سؤال وجه الى غيرك)

اِذَا سَأَلَ الْوَالِي غَيْرَكَ فَلَا تَكُونَنَّ أَنْتَ الْمُجِيبَ عَنْهُ. فَإِنْ
اسْتَلَبَكَ الْكَلَامَ خِفَّةً بِكَ وَاسْتَخْفَافَ مِنْكَ بِالمَسْئُولِ
وَبِالسَّائِلِ

وَمَا أَنْتَ قَائِلٌ ؟ إِنْ قَالَ لَكَ السَّائِلُ مَا إِيَّاكَ سَأَلْتُ ،
أَوْ قَالَ لَكَ الْمَسْئُولُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ يُعَادُ لَهُ بِهَا : دُونَكَ فَأُجِيبُ .
وَإِذَا لَمْ يَقْصِدِ السَّائِلُ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَعَمَّ بِهَا
جَمَاعَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَلَا تُبَادِرَنَّ بِالْجَوَابِ ، وَلَا تُسَاقِ الْجُلَسَاءَ ،
وَلَا تُوَارِثِ بِالْكَلَامِ مُوَاتَّبَةً . فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ مَعَ الشَّيْنِ
التَّكَلُّفَ وَالْخِفَّةَ

فَإِنَّكَ إِذَا سَبَقَتْ الْقَوْمَ إِلَى الْكَلَامِ صَارَ الْكَلَامُ
خُصْمَاءً فَتَعْتَبُوهُ بِالْعَيْبِ وَالطَّعْنِ . وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْجَلْ بِالْجَوَابِ

وخليلته للقوم ، أَعْتَرَضْتُ أَقَاوِيلَهُمْ عَلَى عَيْنِكَ ، ثُمَّ تَدَبَّرْتُهَا
وَفَكَّرْتُ فِيهَا عِنْدَكَ ، ثُمَّ هَيَّأْتَ مِنْ تَفْكِيرِكَ وَمَحَاسِنِ مَا سَمِعْتَ
جَوَابًا رَاضِيًا ، ثُمَّ اسْتَدْبَرْتُ بِهِ أَقَاوِيلَهُمْ حِينَ تَصِيغُ إِلَيْكَ
الْأَسْمَاعُ وَيَهْدُ عَنْكَ الْخُصُومُ

وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْكَ الْكَلَامُ حَتَّى يُكْتَفَى بِغَيْرِكَ ، أَوْ يَنْقَطِعَ
الْحَدِيثُ قَبْلَ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ مِنَ الْعَيْبِ عِنْدَكَ وَلَا مِنَ الْغَبْنِ
فِي نَفْسِكَ فَوْتُ مَا فَاتَكَ مِنَ الْجَوَابِ

فَإِنَّ صِيَانَةَ الْقَوْلِ خَيْرٌ مِنْ سُوءِ وَضْعِهِ ، وَإِنْ كَلِمَةً
وَاحِدَةً مِنَ الصَّوَابِ تُصِيبُ مَوْضِعَهَا خَيْرٌ مِنْ مِائَةِ كَلِمَةٍ
تَقُولُهَا فِي غَيْرِ فُرْصِهَا وَمَوَاضِعِهَا . مَعَ أَنَّ كَلَامَ الْعَجَلَةِ
وَالْبِدَارِ مُوَكَكِّلٌ بِهِ الزَّلُّ وَسُوءُ التَّقْدِيرِ ، وَإِنْ ظَنَّ صَاحِبُهُ
أَنَّهُ قَدْ أَتَقَنَ وَأَخْكَمَ

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تُذَرَكُ وَلَا تُتَمَلَّكُ إِلَّا بِرُحْبِ
الذَّرْعِ عِنْدَ مَا قِيلَ وَمَا لَمْ يَقُلْ ، وَقِلَّةِ الْإِعْظَامِ لِمَا ظَهَرَ مِنَ الْمُرُوءَةِ
وَمَا لَمْ يَظْهَرَ ، وَسَخَاوَةِ النَّفْسِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّوَابِ مَخَافَةَ

الخلاف ومخافة العجلة ومخافة الحسد ومخافة المراء

طَبْ

(٣٤)

(في آداب الاستماع)

إذا كلمك الوالي فأصغِ إلى كلامه. ولا تشغل طرفك^١
عنه بنظر^٢ إلى غيره، ولا أطرافك^٢ بعمل^٢، ولا قلبك بحديث
نفس^٢.

وأحذر هذه الخصلة من نفسك، وتماهدها بجهتك

طَبْ

(٣٥)

(في حث الوزير على مصانعة نظرائه)

أرفق بنظر^١ائك من وزراء السلطان وأخلائه ودُّخلائه.
وأتخذهم إخواناً، ولا تتخذهم أعداء. ولا تنافسهم في الكلمة
يتقربون بها أو العمل يؤمرون به دونك
فإنما أنت في ذلك أحد رجلين :
إما أن يكون عندك فضل على ما عند غيرك فسوف

١ الطرف: العين ٢ جمع طرف بفتحين وهو من البدن اليدين والرجلان والرأس

يَبْدُو ذَلِكَ وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيُلْتَمَسُ مِنْكَ، وَأَنْتَ مُجْمِلٌ
وَأَمَّا إِلَّا يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَكَ، فَمَا أَنْتَ مُصِيبٌ مِنْ
حَاجَتِكَ عِنْدَ وَزَرَاءِ السَّلْطَانِ بِمُقَارَبَتِكَ وَمُلَاءَمَتِكَ إِيَّاهُمْ
وَمُلَايَنَتِكَ

وَمَا أَنْتَ وَاجِدٌ فِي مُوَافَقَتِكَ إِيَّاهُمْ وَلِيْنِكَ لَهُمْ مِنْ
مُوَافَقَتِهِمْ إِيَّاكَ وَلِيْنِهِمْ لَكَ أَفْضَلُ مِمَّا أَنْتَ مُذْرِكٌ بِالْمُنَافَسَةِ
وَالْمُنَافَرَةِ لَهُمْ

لَا تَجْتَزِئَنَّ عَلَى خِلَافِ أَصْحَابِكَ عِنْدَ الْوَالِي، ثِقَةٌ
بِاعْتِرَافِهِمْ لَكَ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِفَضْلِ رَأْيِكَ
فَإِنَّا قَدْ رَأَيْنَا النَّاسَ يَعْتَرِفُونَ بِفَضْلِ الرَّجُلِ وَيَنْقَادُونَ
لَهُ وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ، وَهُمْ أَخْلِيَاءُ^١. فَإِذَا خَضَعُوا لِلْسُلْطَانِ، لَمْ يَرْضَ
أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُقَرَّ لَهُ، وَلَا أَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ
فَضْلٌ^٢، فَاجْتَزَأُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافِ وَالنَّقْضِ^٣

فَإِنْ نَاقَضَهُمْ صَارَ كَأَحَدِهِمْ. وَلَيْسَ بِوَاجِدٍ فِي كُلِّ حِينٍ

سامعاً فهِمَا أَوْ قَاضِيًا عَدْلًا

وَإِنْ تَرَكَ مُنَاقَضَتَهُمْ، كَانَ مَغْلُوبَ الرَّأْيِ مُرْدُودَ الْقَوْلِ

طَبْ

(٣٦)

(في تحذير جليبي السلطان من الاستئثار بصحبته)

إِذَا أَصَبْتَ عِنْدَ السُّلْطَانِ لُطْفَ مَنْزِلَةٍ - لَغْنَاءٌ يَجِدُهُ
عِنْدَكَ أَوْ هَوًى يَكُونُ لَهُ فِيكَ، فَلَا تَطْمَحَنَّ كُلَّ الطَّمَّاحِ وَلَا
تَزِينَنَّ لَكَ نَفْسُكَ الْمَزَايِلَةَ^٢ لَهُ عَنْ أَلْفِهِ وَمَوْضِعِ ثِقَتِهِ
وَسِرِّهِ قَبْلَكَ : تُرِيدُ أَنْ تَقْلَعَهُ وَتَدْخُلَ دُونَهُ . فَإِنْ هَذِهِ خَلَّةٌ
مِنْ خِلَالِ السَّفَةِ قَدْ يُنْتَلَى بِهَا الْحُلَمَاءُ عِنْدَ الدُّنُوِّ مِنَ السُّلْطَانِ
حَتَّى يُحَدِّثَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَكُونَ دُونَ الْأَهْلِ
وَالْوَلَدِ ، لِفَضْلِ يَظُنُّهُ بِنَفْسِهِ أَوْ نَقْصِ يَظُنُّهُ بغيره

وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ ذَوِي هَيْئَةٍ مِنَ السُّوقَةِ
أَلِفٌ وَأُنَيْسٌ قَدْ عَرَفَ رُوحَهُ وَأَطْلَعَ عَلَى قَلْبِهِ . فَلَيْسَتْ
عَلَيْهِ مَوْئِنَةٌ فِي تَبْذُلِ يَتَبَذَّلُ لَهُ عِنْدَهُ، أَوْ رَأْيٍ يَسْتَبِينُ مِنْهُ، أَوْ سِرٍّ

يُفْشِيهِ إِلَيْهِ. غَيْرَ أَنَّ تِلْكَ الْأَنْسَةَ^١ وَذَلِكَ الْإِلْفُ يَسْتَخْرِجُ مِنْ
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ لِيُظْهَرَ مِنْهُ عِنْدَ الْإِلْفِ نَقْبَاضُ وَالتَّشَدُّدُ.
 وَلَوْ أَلْتَمَسَ مُلْتَمِسٌ^٢ مِثْلَ ذَلِكَ عِنْدَ مَنْ يَسْتَأْنِفُ مَلَاطِفَتَهُ
 وَمَوَاسِيَتَهُ وَمُنَاسِمَتَهُ^٣ - وَإِنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ فِي الرَّأْيِ وَبَسْطَةٍ
 فِي الْعِلْمِ - لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مِثْلَ مَا هُوَ مُنْتَفِعٌ بِهِ مِمَّنْ هُوَ دُونَ
 ذَلِكَ فِي الرَّأْيِ مِمَّنْ قَدْ كُنِيَ مَوَاسِيَتُهُ وَوَقَعَ عَلَى طِبَاعِهِ
 لِأَنَّ الْأَنْسَةَ رَوْحٌ^٤ لِلْقُلُوبِ، وَأَنَّ الْوَحْشَةَ رَوْعٌ^٥
 عَلَيْهَا. وَلَا يَلْتَأَطُ^٦ بِالْقُلُوبِ إِلَّا مَا لَانَ عَلَيْهَا. وَمَنْ آسْتَقْبَلَ
 الْإِنْسَ بِالْوَحْشَةِ آسْتَقْبَلَ أَمْرًا ذَا مُؤْوَنَةٍ

فَإِذَا كَلَفْتُكَ نَفْسُكَ السُّمُو^٧ إِلَى مَنْزِلَةٍ مِنْ وَصَفْتُ لَكَ،
 فَأَقْدَعَهَا^٨ عَنْ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ فَضْلِ الْإِلْفِ وَالْأَنْبَسِ. وَإِذَا
 حَدَّثْتُكَ نَفْسُكَ أَوْ غَيْرُكَ - مِمَّنْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ فَضْلٌ فِي
 مَرْوَةٍ - أَنَّكَ أَوْلَى بِالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ مِنْ بَعْضِ دُخْلَانِهِ

١ الانسة بالتحريك : ضد الوحشة ٢ المناسبة : المسارة ٣ الروح بالفتح :
 الراحة ٤ الروح : النزع ٥ يلتصق ٦ السمو : مفعول آخر لكاف
 لأن الفعل ينصب اثنين بنفسه أولهما الكاف ٧ اقدعها : أمنها واكفها .
 والفعل كمنع

وِثْقَانَهُ فَأَذْكُرِ الَّذِي عَلَى السُّلْطَانِ مِنْ حَقِّ أَلْفِهِ وَثِقَتِهِ وَأَنِّيْسِهِ
فِي التَّكْرِمَةِ وَالْمَكَانَةِ وَالرَّأْيِ ، وَالَّذِي يُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الرَّأْيِ
أَنَّهُ يَجِدُ عِنْدَهُ مِنَ الْأَلْفِ وَالْأُنْسِ مَا لَيْسَ وَاجِدًا عِنْدَ غَيْرِهِ
فَلْيَكُنْ هَذَا مِمَّا تَحْفَظُ فِيهِ عَلَى نَفْسِكَ وَتَعْرِفُ فِيهِ عِذْرَ
السُّلْطَانِ وَرَأْيِهِ

وَالرَّأْيُ لِنَفْسِكَ مِثْلُ ذَلِكَ ، إِنْ أَرَادَكَ مُرِيدٌ عَلَى الدَّخُولِ
دُونَ أَلْفِكَ وَأَنِّيْسِكَ وَمَوْضِعِ ثِقَتِكَ وَسِرِّكَ وَجِدِّكَ وَهَزْلِكَ
وَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَكَادُ يَكُونُ لِكُلِّ رَجُلٍ غَالِبَةٌ حَدِيثٌ لَا يَزَالُ
يُحَدِّثُ بِهِ : إِمَّا عَنْ بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْعِلْمِ
أَوْ صِنْفٍ مِنْ صِنُوفِ النَّاسِ أَوْ وَجْهِ مِنْ وَجُوهِ الرَّأْيِ . وَعِنْدَمَا
يُغْرَمُ بِهِ الرَّجُلُ مِنْ ذَلِكَ يَبْدُو مِنْهُ السُّخْفُ^١ وَيُعْرِفُ مِنْهُ
الْهَوَى

فَاجْتَنِبْ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ، ثُمَّ عِنْدَ السُّلْطَانِ خَاصَّةً

(٣٧)

طَبْ

(في كتمان ما تكرهه من رأي السلطان)
 لَا تَشْكُونُ إِلَى وُزَرَاءِ السُّلْطَانِ وَدُخْلًا إِلَيْهِ مَا أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ
 مِنْ رَأْيٍ تَكْرَهُهُ لَهُ . فَإِنَّكَ لَا تَزِيدُ عَلَى أَنْ تَقْطِنَهُمْ لِهَوَاهِ
 أَوْ تُقَرِّبَهُمْ مِنْهُ وَتُغَيِّرَهُمْ بِتَرْبِيبِ ذَلِكَ وَالْمِيلِ عَلَيْكَ مَعَهُ
 وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَجَاهَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَالْخَاصَّةَ لَا مَحَالَةَ
 أَنْ يَرَى مِنَ الْوَالِي مَا يَخَالِفُهُ مِنَ الرَّأْيِ فِي النَّاسِ وَالْأُمُورِ . فَإِذَا
 آثَرَ أَنْ يَكْرَهُ كُلَّ مَا خَالَفَهُ . أَوْ شَكَّ أَنْ يَمْتَعِضَ مِنَ الْجَفْوَةِ
 يَرَاهَا فِي الْمَجْلِسِ ، أَوِ النَّبْوَةِ فِي الْحَاجَةِ ، أَوِ الرَّدِّ لِلرَّأْيِ ، أَوْ
 الْإِدْنَاءِ لِمَنْ لَا يَهْوَى إِدْنَاءَهُ ، أَوِ الْإِقْصَاءِ لِمَنْ يَكْرَهُ إِقْصَاءَهُ
 فَإِذَا وَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ الْكَرَاهِيَّةُ تَغَيَّرَ لَذَلِكَ وَجْهُهُ وَرَأْيُهُ
 وَكَلَامُهُ حَتَّى يَبْدُو ذَلِكَ لِلْسُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لِفَسَادِ مَنَزَلَتِهِ
 وَمُرُوءَتِهِ سَبَبًا وَدَاعِيًا

فَذَلِّلْ نَفْسَكَ بِأَحْتِمَالِ مَا خَالَفَكَ مِنْ رَأْيِ السُّلْطَانِ ،

وَقَرَّرَهَا عَلَى أَنَّ السَّلْطَانَ إِنَّمَا كَانَ سَاطِئًا لِلتَّبِيعَةِ فِي رَأْيِهِ وَهَوَاهُ
وَأَمْرِهِ ، وَلَا تَكْلِفْهُ أَتْبَاعُكَ وَتَغَضِّبَ مَنْ خِلَافَهُ إِيَّاكَ

مطلب

(٣٨)

(في حث الوزير على تصحيح النصيحة)

إِعلم أَنَّ السَّلْطَانَ يَقْبَلُ مِنَ الْوُزَرَاءِ التَّبْخِيلَ^١ وَيَعْدُهُ^٢
مِنْهُمْ شَفَقَةً وَنَظْرًا لَهُ ، وَيَحْمَدُهُمْ عَلَيْهِ

فَإِنْ كَانَ جَوَادًا وَكَنتَ مُبْخِلًا ، شِئْتَ صَاحِبَكَ
بِفَسَادِ مَرْوَعَتِهِ ، وَإِنْ كُنتَ مُسْخِيًا^٣ ، لَمْ تَأْمَنْ إِضْرَارَ ذَلِكَ
بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَهُ

فَالرَّأْيُ لَكَ تَصْحِيحُ النُّصِيحَةِ عَلَى وَجْهِهَا ، وَالْتَّمَّاسُ الْخُلَاصُ
مِنَ الْعَيْبِ وَاللَّائِمَةُ فِيمَا تَتْرَكُ مِنْ تَبْخِيلِ صَاحِبِكَ بَأَلَّا يَعْرِفَ
مِنْكَ فِيمَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِيلًا إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَوَاكَ وَلَا طَلِبًا لِمَا تَرْجُو
أَنْ يَزِيَنَهُ وَيَنْفَعَهُ

١ يريد أن السلطان بهوي من الوزراء من يحبب إليه البخل ويزين له التقدير

٢ أي محبباً في الكرم والسجاء

(٣٩)

طَبْ

(في ان الطالب لصحبة الملوك لا يفلح حتى يشايهم وبما لهم)

لا تكوننَّ صحبتك للملوك إلا بعد رياضة منك

لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك ، وموافقتهم فيما

خالفك ، وتقدير الأمور على أهوائهم دون هواك ، وعلى

الآ تكتمهم سرّك ولا تستطلع ما كتموك ، وتخفي

ما أطلعوك عليه على الناس كلهم حتى تخفى نفسك الحديث

به ، وعلى الآ جتهاد في رضاهم ، والتلطّف لحاجتهم ، والتثيت

لحجّتهم ، والتصديق لمقاتلهم ، والتزيين لرأيهم ، وعلى قلة

الاستقباح لما فعلوا إذا أساءوا ، وترك الآ تحال^٢ لما فعلوا إذا

أحسنوا ، وكثرة النشر لمحاسنهم ، وحسن السّتر لمساوئهم ،

والمقاربة لمن قاربوا وإن كانوا بُعداء ، والمباعدة لمن باعدوا

وإن كانوا أقرباء ، والاهتمام بأمرهم وإن لم يهتموا به ،

والحفظ لهم وإن ضيعوه ، والذكر لهم وإن نسوه ، والتخفيف

١ اي تذليل ٢ يريد ان احسنوا فلا تنسب ذلك الي نفسك دونهم

عنهم من مؤونتك ، والآ حتمال لهم كل مؤونية ، والرضى
منهم بالعفو ، وقلة الرضى من نفسك لهم إلا بالاجتهاد
وإن وجدت عنهم وعن صحبتهم غي ، فأغن عن ذلك
نفسك واعتزله جهداً

فإن من يأخذ عملهم بحقه ، يحل بينه وبين لذة الدنيا
وعمل الآخرة . ومن لا يأخذ بحقه ، يحتمل الفضيحة في الدنيا
والوزر في الآخرة

طَبْ

(٤٥)

(في مزار صحبة السلاطين)

إنك لا تأمن^١ ثقة^٢ الملوك إن علمتهم ، ولا تأمن
عقوبتهم إن كتمتهم ، ولا تأمن غضبتهم إن صدقتهم ، ولا تأمن
سلوتهم^٣ إن حدت^٤تهم وإليك إن لم تهم لم تأمن تبرئهم بك ،
وإن زالمتهم^٥ لم تأمن عقابهم ، وإن تستأمرهم حملت المؤونة
عليهم ، وإن قطعت الأمر دونهم لم تأمن فيه مخالفتهم . إنهم إن

١ الثقة بالتحريك وكذلك الالف : الاستنكاف ٢ المودة : التبريم والمال

٣ زابل : فارق

سخطوا عليك أهلكوك، وإن رَضُوا عنك تكلفت رضاهم
 ما لا تطيق

فإن كنت حافظاً إن بلوك ، بجلدا إن قرّبوك ،
 أميناً إن آثمتهم : تعلمهم وأنت تريهم أنك تعلم منهم ،
 وتودّ بهم وكأنهم يودّونك : تشكرهم ولا تكافهم الشكر ،
 بصيراً بأهوائهم ، مؤثراً لمنافعهم ، ذليلاً إن ظلموك ،
 راضياً إن أسخطوك ، وإلا فالبُعدُ منهم كل البُعد والحذر
 منهم كل الحذر

مطب

(٤١)

(في التحذير من الاغترار بالسلطان والمال والجاه والشباب)

تحرّز من سُكر السلطان وسُكر المال وسُكر العلم
 وسُكر المنزلة وسُكر الشباب . فانه ليس من هذا شيء إلا
 وهو ربح جنة تسلب العقل وتذهب بالوقار وتصرف القلب
 والسمع والبصر واللسان إلى غير المنافع

١ جواب ان محذوف يفهم من المقام ٢ الجنة بالكسر : الجنون

المقالة الثانية

(في الأصدقاء)

مطب

(٤٢)

(في معاملة الناس)

أَبْذُلْ لَصَدِيقِكَ دِمَاكَ وَمَالَكَ ، وَلِمَعْرِفَتِكَ رِفْدَكَ^٢
وَمَحْضَرَكَ ، وَلِلْعَامَّةِ بَشْرَكَ وَتَحَنُّنَكَ ، وَلِعَدُّوكَ عَدْلَكَ
وَإِنْصَافَكَ

وَأَضْمِنْ بِدِينِكَ وَعِرْضِكَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ

مطب

(٤٣)

(في تحذير المرء من انتحاله رأى غيره)

إِنْ سَمِعْتَ مِنْ صَاحِبِكَ كَلَامًا أَوْ رَأَيْتَ مِنْهُ رَأْيًا يُعْجِبُكَ
فَلَا تَنْتَحِلْهُ تَزَيِّنَا بِهِ عِنْدَ النَّاسِ . وَاصْكُتْ مِنَ التَّزَيُّنِ بِأَنْ
تُجِئِيَ الصَّوَابَ إِذَا سَمِعْتَهُ ، وَتَنْسِبُهُ إِلَى صَاحِبِهِ
وَأَعْلَمْ أَنَّ أَنتِحَالَكَ ذَلِكَ مَسْخَطَةٌ لَصَاحِبِكَ ، وَأَنَّ فِيهِ
مَعَ ذَلِكَ عَارًا وَسُخْفًا

١ المعرفة : المعارف ٢ الرشد بالكسر : العطاء

فإن بلغ بك ذلك أن تُشير برأى الرجل وتشكّام بكلامه
وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء . وهذا من سوء الأدب
الفاشي في الناس

ومن تمام حسن الخلق والأدب في هذا الباب أن تستخو
نفسك لأخيك بما أنتحل من كلامك ورأيك ، وتنسب إليه
رأيه وكلامه ، وتزينة مع ذلك ما استطعت .

ولا يكونن من خلقك أن تبدى حديثاً ثم تقطعه وتقول :
سوف ، كأنك روات فيه بعد ابتداءك إياه . وليكن
ترويك فيه قبل التفرقه به . فإن احتيجان الحديث بعد افتتاحه
سُخف وغم

مطب

(٤٤)

(في الحظ على تخير المواضع لرأيك)

أخزن عقلك وكلامك إلا عند إصابة الموضع . فإنه ليس
في كل حين يحسن كل صواب . وإنما تمام إصابة الرأي والقول

١ روأ في الأمر بالهمز : إذا نظر فيه وتدبره ومنه الروية من غير همز :
وهي الفكر مع التدبر ٢ من قولهم احتجن المال : ضمه الى نفسه وأمسكه

بإصابة الموضع . فإن أخطأك ذلك أدخلت المِحنة ' على عقلك
وقولك حتى تأتي في موضعه . وإن أتيت به في غير موضعه ، أتيت
به وهو لا بهاء ولا طلاوة له

وليُعرف العلماء حين تُجالسهم أنك على أن تسمع أحرص
منك على أن تقول

مطلب

(٢٥)

(في تجنب الهزل ولو كان مزاحاً ما لم تكبت به عدوا)

إن آثرت أن تُفاخر أحداً ممن تستأنس إليه في لهو
الحديث فأجعل غاية ذلك الجِدَّ ، ولا تعتد أن تتكلم فيه بما كان
هزلاً . فإذا بلغه أو قاربهُ فدعه

ولا تخطن بالجد هزلاً ، ولا بالهزل جدّاً . فإنك إن خلطت
بالجد هزلاً هجنته ، وإن خلطت بالهزل جدّاً كذرتَه
غير أني قد علمت مؤثنا واحداً إن قدرت أن تستقبل
فيه الجد بالهزل أصبت الرأي وظهرت على الأقران : وذلك

أَنْ يَتَوَرَّدَ كُتُورٌ دُبالسفه والغضب وسوء اللفظ، فتجيبه إجابة
الهازل المداعب، برُحْبٍ من الذَّرْع، وطلاقةٍ من الوجه وثباتٍ
من المنطق

طَبْ

(٤٦)

(في ان لا خوف عليك من اخي الثقة أن يخاطب العدو)

إِنْ رَأَيْتَ صَاحِبَكَ مَعَ عَدُوِّكَ فَلَا يُغْضِبَنَّكَ ذَلِكَ . فَإِنَّمَا
هُوَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ

إِنْ كَانَ رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِ الثِّقَّةِ فَأَنْفَعُ مَوَاطِنُهُ لَكَ أَقْرَبُهَا
مِنْ عَدُوِّكَ : لَسِرٌّ يَكْفُهُ عَنْكَ ، أَوْ لَعُورَةٌ يَسْتَرُهَا مِنْكَ ، أَوْ غَائِبَةٌ
يَسْلَعُ عَلَيْهَا لَكَ . فَأَمَّا صَدِيقُكَ فَمَا أَغْنَاكَ أَنْ يَحْضُرَهُ ذُو ثِقَتِكَ
وَإِنْ كَانَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ خَاصَّةٍ إِخْوَانِكَ فَبِأَيِّ حَقٍّ
تَقْطَعُهُ عَنِ الْمَاسِ وَتُكَلِّمُهُ إِلَّا يُصَاحِبَ وَلَا يُجَالِسَ إِلَّا
مِنْ تَهْوَى

تَحْفَظُ فِي مَجَالِسِكَ وَكَلَامِكَ مِنَ التَّطَاوُلِ عَلَى الْأَصْحَابِ ،

وِطْبُ نَفْسًا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَعْزِضُ لَكَ فِيهِ صَوَابُ الْقَوْلِ وَالرَّأْيِ،
مَدَارَةً لِأَنْ يَظُنَّ أَصْحَابُكَ أَنَّكَ أَنْما تُرِيدُ التَّطَاوُلَ عَلَيْهِمْ

طَبْ

(٤٧)

(في التحفظ من الصديق المقبل بوجه)

إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْكَ مُقْبِلٌ بَوْدِهِ فَسَرِّكَ إِلَّا يُذِبرَ عَنْكَ .
فَلَا تُنْعِمِ إِلَّا قَبَالَ عَلَيْهِ وَالتَّفْتِيحُ لَهُ . فَإِنَّ الْإِنْسَانَ طُبِعَ عَلَى ضُرَائِبِ
لُؤْمٍ . فَمَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَرَحَلَ عَنْ لَصِيقٍ بِهِ . وَيَلْصِقَ بِمَنْ رَحَلَ
عَنْهُ . إِلَّا مَنْ حَفِظَ بِالْأَدَبِ نَفْسَهُ وَكَابَرِ طَبْعَهُ
فَتَحْفَظُ مِنْ هَذَا فِيكَ وَفِي غَيْرِكَ

طَبْ

(٤٨)

(في أن الدعي لا محالة مفضوح)

لَا تُكْثِرَنَّ إِدْعَاءَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ مَا يَعْزِضُ بِكَ وَيُبَيِّنُ
أَصْحَابُكَ فَإِنَّكَ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ فَضِيحَتَيْنِ

إِذَا أَنْ يَنَازِعُوكَ فِيمَا أَدَّعَيْتَ ، فَيُهْجَمَ مِنْكَ عَلَى الْجَهَالَةِ
وَالصَّلَافِ^١

وَإِذَا مَا أَلَّا يَنَازِعُوكَ وَيُخْلَوُا فِي يَدَيْكَ مَا أَدَّعَيْتَ مِنْ
الْأُمُورِ . فَيُنْكَشِفَ مِنْكَ التَّصَنُّعُ وَالْمَعْجَزَةُ^٢

وَاسْتَحِ الْحَيَاءَ كُلَّهُ مِنْ أَنْ تُخْبِرَ صَاحِبَكَ أَنَّكَ عَالِمٌ وَأَنْتَ
جَاهِلٌ : مُصَرِّحًا أَوْ مُعَرِّضًا

وَإِنْ اسْتَطَلَّتْ عَلَى الْأَكْفَاءِ فَلَا تَثِقَنَّ مِنْهُمْ بِالصَّفَاءِ
وَإِنْ آتَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَضْلًا فَتَحَرَّجْ أَنْ تَذْكُرَهُ أَوْ
تُبْدِيَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ ظُهُورَهُ مِنْكَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ يَقَرُّرُ لَكَ فِي قُلُوبِ
النَّاسِ مِنَ الْعَيْبِ أَكْثَرَ مِمَّا يَقَرُّرُ لَكَ مِنَ الْفَضْلِ

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ صَبَّيْتَ وَلَمْ تَعْجَلْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْكَ
بِالْوَجْهِ الْجَمِيلِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ النَّاسِ

وَلَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنْ حِرْصَ الرَّجُلِ عَلَى إِظْهَارِ مَا عِنْدَهُ
وَقِلَّةُ وَقَارِهِ فِي ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبَخْلِ وَاللُّؤْمِ

١ الصلاف بالتحريك : العجب ومجاوزة حد الظرف

وَأَنْ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ عَلَى ذَلِكَ السَّخَاءُ وَالتَّكْرُمُ
وَإِنْ أُرِدْتَ أَنْ تَلْبَسَ ثَوْبَ الْوَقَارِ وَالْجَمَالِ وَتَحُلِيَ بِجِلْيَةِ
الْمُودَّةِ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَتَسْلِكَ الْجَدَّةَ الَّذِي لَا خَبَارَ فِيهِ وَلَا
عِثَارَ فَكُنْ عَالِمًا كِجَاهِلٍ وَنَاطِقًا كَعَمِيٍّ

فَأَمَّا الْعِلْمُ فَيَزِينُكَ وَيُرْشِدُكَ . وَأَمَّا قِلَّةُ أَدْعَاةٍ فَيَنْفِي
عَنكَ الْحَسَدَ . وَأَمَّا الْمُنْطَقُ (إِذَا أَحْتَجْتَ إِلَيْهِ) فَيُيْلِفُكَ
حَاجَتَكَ ، وَأَمَّا الصَّمْتُ فَيَسْكَسِبُكَ الْمَحَبَّةَ وَالْوَقَارَ

وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَحْدِثُ حَدِيثًا قَدْ عَلِمْتَهُ أَوْ يُخْبِرُ خَبْرًا
قَدْ سَمِعْتَهُ فَلَا تَشَارِكْهُ فِيهِ وَلَا تَتَّبِعْهُ عَلَيْهِ ، حِرْصًا عَلَى أَنْ يَعْلَمَ
النَّاسُ أَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَهُ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خِيفَةً وَشُحًّا وَسُوءَ أَدَبٍ
وَسُخْفًا

وَلْيَعْرِفْ إِخْوَانُكَ وَالْعَامَّةُ أَنَّكَ (إِنْ أَسْتَطَعْتَ)
إِلَى أَنْ تَفْعَلَ مَا لَا تَقُولُ أَقْرَبُ مِنْكَ إِلَى أَنْ تَقُولَ مَا لَا تَفْعَلُ
فَإِنَّ فَضْلَ الْقَوْلِ عَلَى الْفِعْلِ عَازٌّ وَهُجْنَةٌ ، وَفَضْلُ الْفِعْلِ عَلَى
الْقَوْلِ زِينَةٌ

وَأَنْتَ حَقِيقٌ فِيمَا وَعَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَوْ أَخْبِرْتَ بِهِ
صَاحِبَكَ أَنْ تَحْتَجِّنَ بِمَعْضٍ مَا فِي نَفْسِكَ ، إِعْدَادًا لِفَضْلِ الْفِعْلِ
عَلَى الْقَوْلِ ، وَتَحَرُّزًا بِذَلِكَ عَنْ تَقْصِيرِ فِعْلٍ إِنْ قَصُرَ . وَقَلَمَا يَكُونُ
إِلَّا مَقْصَرًا

طَبَقٌ

(٢٩)

(فِي إِنْ وَاجِبُ الْمَرْءِ نَحْوُ عَدُوِّهِ الْعَدْلُ وَنَحْوُ صَدِيقِهِ الرِّضَاءُ)
أَحْفَظْ قَوْلَ الْحَكِيمِ الَّذِي قَالَ : لَتَكُنْ غَايَتُكَ فِيمَا يَبْنِيكَ
وَبَيْنَ عَدُوِّكَ الْعَدْلَ ، وَفِيمَا يَبْنِيكَ وَبَيْنَ صَدِيقِكَ الرِّضَاءَ
وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدُوَّ خَصْمٌ تَضَرَّعُهُ بِالْحِجَّةِ وَتَغْلِبُهُ بِالْحُكْمِ ،
وَأَنَّ الصَّدِيقَ لَيْسَ يَبْنِيكَ وَبَيْنَهُ قَاضٍ ، فَإِنَّمَا تَحْكُمُهُ رِضَاءً

طَبَقٌ

(٥٠)

(فِي التَّنَبُّهِ مِنَ الصَّدِيقِ قَوْلِ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ)
اجْعَلْ غَايَةَ تَشَبُّثِكَ فِي مَوَاقِفِكَ مِنْ تَوَاضُعٍ وَمَوَاصِلَةٍ مِنْ
تَوَاصُلٍ تَوَاطِينٍ نَفْسِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى قَطِيعَةِ أَخِيكَ ،
وَإِنْ ظَهَرَ لَكَ مِنْهُ مَا تَكْرَهُ . فَإِنَّهُ لَيْسَ كَالْمَمْلُوكِ الَّذِي تُعَقِّقُهُ

متى شئت ، أو كالمرأة التي تطلقها إذا شئت ، ولكنه عرضك
ومروءتك . فأنما مروءة الرجل إخوانه وأخداؤه . فإن عثر
الناس على أنك قطعت رجلاً من إخوانك (وإن كنت
مُعذراً) نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة الإخاء والمال
فيه . وإن أنت مع ذلك تصبرت على مقارنته على غير الرضى
عاد ذلك إلى العيب والنقيصة

فلا تتاد الأتاد ! والتثبت التثبت !

وإذا نظرت في حال من ترتئيه لإخائك ، فإن كان من
إخوان الدين فليكن فقيهاً غير مُراءٍ ولا حريصٍ ، وإن
كان من إخوان الدنيا فليكن حراً ليس بجاهل ولا كذاب
ولا شيرٍ ولا مشنوع

فإن الجاهل أهل أن يهرب منه أبواه . وإن الكذاب
لا يكون أخاً صادقاً . لأن الكذب الذي يجري على لسانه إنما
هو من فضول كذب قلبه (وإنما سمي الصديق من الصدق .

وقد يتهم صديق القلب وإن صدق اللسان . فكيف إذا ظهر
الكذب على اللسان ؟ (وإن الشرير يكسبك العدو . ولا
حاجة لك في صداقة تجلب العداوة . وإن المشنوع
شائع صاحبته)

واعلم أن انتباضك عن الناس يكسبك العداوة .
وأن انبساطك إليهم يكسبك صديق سوء . وسوء الأصدقاء
أضر من بغض الأعداء . فإنك إن واصلت صديق سوء
أعيتك جرائره . وإن قطعت شائك أسم القطيعة ، وألزمك
ذلك من يرفع عيبك ولا ينشر عذرك . فإن المعاييب تنمى
والمعاذير لا تنمى

مطلب

(٥٩)

(فيما ينبغي للعاقل أن يسلكه ازاء العامة والخاصة)
اللبس للناس لباسين ليس للعاقل بُد منهما . ولا عيش
ولا مروءة إلا بهما :

١ فاضح ٢ الانبساط : ضد الانتباض ويريد البعد والقرب ٣ الجرائر
جمع جريرة وهى ما يجنيه الرجل على نفسه او غيره

لباسٍ آنقباضٍ واحتجازٍ من الناس ، تلبسهُ للعامّة فلا
يلقونك إلا متحفّظاً متشدّداً متحرّزاً مستعدّاً
ولباسٍ آنبساطٍ واستئناسٍ ، تلبسهُ للخاصّة الثقات من
أصدقائك . فتلقاهم بذات صدرك وتُضيي إليهم بمصون
حديثك وتضع عنك مؤونة الحذر والتحفظ فيما بينك وبينهم
وأهل هذه الطبقة (الذين هم أهلها) قليل من قليلٍ حقاً .
لأن ذا الرأي لا يُدخل أحداً من نفسه هذا المذخل إلا بعد
الاختبار والتكشّف والثقة بصدق النصيحة ووفاء العهد

مطلب

(٥٢)

(فيما ينبغي للعاقل أن يغلبه على لسانه)
اعلم أن لسانك أداة مُصلّيةٌ ، يتغالب عليه عقلك
وغضبك وهواك وجهلك . فكلّ غالب عليه مستمع به وصارفه
في محبته . فاذا غلب عليه عقلك فهو لك ، وإن غلب عليه شيء
من أشباه ما سميتُ لك فهو لعدوك
فإن استطعت أن تحتفظ به وتصونه فلا يكون إلا لك ،

ولا يستولى عليه أو يشاركك فيه عدوك فافعل

مطلب

(٥٣)

(في الحظ على مؤاكلة الصديق عند النوائب)

إذا نابت أخاك إحدى النوائب من زوال نعمة أو نزول
بليّة، فأعلم أنك قد ابتليت معه : إما بالمؤاكلة فتشاركه في
البليّة، وإما بالخذلان فتحتمل العار

فألتبس المخرج عند أشباه ذلك ، وآثر مروءتك
على ماسواها

فإن نزلت الجائحة التي تأبى نفسك مشاركة أخيك فيها
فأجمل . فاعل الإجمال يسمعك ، لقلة الإجمال في الناس

مطلب

(٥٤)

(ينبغي لصديق السلطان ألا يدل عليه بقمعه)

إذا أصاب أخوك فضل منزلة أو سلطان فلا تريه أن
سلطانه قد زادك له ودًا ، ولا يعرف منك عليه بماضي إخوانك

تدلاً . وأَرِهَ أَنَّ سُلْطَانَهُ زَادَكَ لَهُ تَوْقِيرًا وَإِجْلَالًا مِنْ غَيْرِ أَنْ
يَقْدِرَ أَنْ يَزِيدَهُ وُدًّا وَلَا نُصْحًا ، وَأَنَّكَ تَرَى حَقًّا لِلْسُلْطَانِ
التَّوْقِيرَ وَالْإِجْلَالَ . فَكُنْ فِي الْمَدَارَاقِ لَهُ وَالرَّفَقَ بِهِ كَالْمَوْتَنَفِ
لَمَّا قَبْلَهُ . وَلَا تَقْدِّرِ الْأُمُورَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كُنْتَ
تَعْرِيفُ مِنْ أَخْلَاقِهِ فَإِنَّ الْأَخْلَاقَ مُسْتَحِيلَةٌ^١ مَعَ السُّلْطَانِ .
وَرَبَّمَا رَأَيْنَا الرَّجُلَ الْمُدِلَّ عَلَى السُّلْطَانِ بِقِدَمِهِ قَدْ أَضْرَبَ بِهِ قِدَمَهُ

طَبْ

(٥٥)

(فِيمَنْ يَجُوزُ أَنْ تَعْتَذِرَ إِلَيْهِ أَوْ تُحَدِّثَهُ)

لَا تَعْتَذِرَنَّ إِلَّا إِلَى مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ لَكَ عَذْرًا ، وَلَا
تَسْتَعِينَنَّ إِلَّا بِمَنْ يُحِبُّ أَنْ يُظْفِرَكَ^٢ بِحَاجَتِكَ ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ إِلَّا
مَنْ يَرَى حَدِيثَكَ مَغْنَمًا ، مَا لَمْ يَغْلِبِكَ أَضْطِرَارٌ^٣
وَإِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ مَعْتَذِرٌ ، فَتَلَقَّهُ بِوَجْهِ مُشْرِقٍ وَبِشْرِ
وَلِسَانٍ طَلْقٍ^٤ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ قَطِيعَتُهُ غَنِيمَةٌ

١ أي من شأنها الانتقال والتحول من قولهم : استبحات الأرض اعوجت
وخرجت عن الاستواء ٢ من الظاهر بالتحريك وهو الفوز بالمطلوب وتقول
منه اظفرني فلان بكذا وعلى كذا اعاني على الفوز بمطلوبي ٣ ش : طابق
٤ طابق

إِذَا غَرَسْتَ مِنَ الْمَعْرُوفِ غَرْسًا وَأَنْفَقْتَ عَلَيْهِ نَفَقَةً فَلَا
تَضَيِّنَنَّ فِي تَرْبِيَةِ مَا غَرَسْتَ وَأَسْتَمَائِهِ ، فَتَذْهَبَ النِّفَقَةُ الْأُولَى
ضَيَاعًا^١

مَطْلَبُ

(٥٥)

(في الحرص على اتحاد الاخوان وتعهد المعروف)

إِعلمُ أَنَّ إِخْوَانِ الصَّدَقِ هُمُ خَيْرُ مَكْسَبٍ^٢ الدُّنْيَا . هُمُ
زِينَةُ فِي الرِّخَاءِ ، وَعُدَّةٌ فِي الشَّدَّةِ ، وَمَعْوَانَةٌ عَلَى خَيْرِ الْمَعَاشِ
وَالْمَعَادِ . فَلَا تُفَرِّطَنَّ فِي آكْتِسَابِهِمْ وَابْتِغَاءِ الْوُصُولَاتِ^٣
وَالْأَسْبَابِ إِلَيْهِمْ

وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَاجِدٌ رَغْبَتِكَ مِنَ الْإِخَاءِ عِنْدَ أَقْوَامٍ قَدْ
حَالَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ بَعْضُ الْأُتْبَةِ^٤ الَّتِي قَدْ تَعْتَرِي بَعْضَ أَهْلِ
الْمُرَوَّاتِ فَتَحْجِزْ عَنْهُمْ كَثِيرًا مِمَّنْ يَرْغَبُ فِي أَمْثَالِهِمْ . فَاذْأَرَأَيْتَ

١ وقد كتب الشنقيطي في نسخة ازام هذا بخطه ما نصه

عندي حقائق ود غرس انعمكم * قد مسها عطش فليسق من غرسا
تداركوها وفي أغصانها رمق * فلن يعود اخضرار العود ان يبسا

٢ جمع مكسب وهو اسم لما يكتسبه الانسان من الرزق ٣ جمع وصلة

بالضم وهي الاتصال ٤ الابهة كسكرة : العظمة والجلال

أحداً من أولئك قد عثر به الدهر وعرفت نفسك أنه ليس
عليك في دُنُوك منه وأبتغائك مودته وتواضعك له مَذَلَّةٌ ،
فأغتم ذلك منه وأعمل فيه

مطلب

(٥٦)

(في ان احياء المعروف بنفسياته والتصغير له)

إذا كانت لك عند أحد صنعة^١ أو كان لك عليه طول^٢
فألتبس إحياء ذلك بإيمانه ، وتعظيمه بالتصغير له . ولا تقتصرن
في قلة المن^٣ به على أن تقول : لا أذكره ولا أصغي بسمعي
إلى من يذكره . فان هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف
بعقل ولا كرم . ولكن احذر أن يكون في مجالستك إيّاه ، وما
تُكلمه به ، أو تستعينه عليه ، أو تجاريه فيه شيء من الاستطالة .
فإن الاستطالة تهدم الصنعة وتكدر المعروف

مطلب

(٥٧)

(في علاج انفعالات النفس والاحتباس منها)

احترس من سورة الغضب وسورة الحمية وسورة

١ ما اصطفت من الخير ٢ الفضل ٣ هو تعدد ذلك النعم على من أحسفت اليه

الحقد وسورة الجهل^١ وأعدِّد لكلِّ شيء من ذلك عُدَّةً
تجاهده: بها من الحلم، والتفكير، والروية^٢، وذكر العاقبة،
وطلب الفضيلة

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تُصِيبُ الْقَلْبَةَ إِلَّا بِالْأَجْتِهَادِ وَالْفَضْلِ ،
وَأَنَّ قَلَّةَ الْأَعْدَادِ لِمُدَافَعَةِ الطَّبَائِعِ الْمُتَطَلِّعَةِ هُوَ الْأَسْتِسْلَامُ لَهَا .
فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَفِيهِ مِنْ كُلِّ طَبِيعَةٍ سَوْءٌ غَرِيزَةٌ .
وَأَمَّا التَّفَاضُلُ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَغَالِبَةِ طَّبَائِعِ السَّوِّءِ

فَأَمَّا أَنْ يَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِيهِ تِلْكَ الْغَرَائِزُ
فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَطْمَعٌ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الْقَوِيَّ إِذَا كَابَرَهَا
بِالْقَمْعِ^٣ لَهَا كُلَّمَا تَطَلَّعَتْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُمِيتَهَا حَتَّى كَأَنَّهَا
لَيْسَتْ فِيهِ . وَهِيَ فِي ذَلِكَ كَامِنَةٌ كُمُوتِ النَّارِ فِي الْعُودِ .
فَإِذَا وَجَدَتْ قَادِحًا^٤ مِنْ عِلَّةٍ، أَوْ غَفْلَةً^٥ اسْتَوْرَتْ^٥ كَمَا اسْتَوْرَى

١ الجهل هنا هو ضد العلم ٢ الفكر والتدبر وهي كلمة جرت على
الاستعمال بغير هذا تخفيفاً من روات في الأمر باللهن : اذا نظرت فيه
٣ القهر والاذلال ٤ من قدح بالزند : رام اخراج ناره
٥ من الوري وهو انقادها واستعارها

النار عند القذح ، ثم لا يبدأ ضرُّها إلا بصاحبها ، كما لا تبدأ
النار إلا بمُودها الذي كانت فيه

مطلب

(٥٨)

(في الصبر على من يلزمك وبيان أنواعه وممناه)

ذَلَّ نفسك بالصبر على جار السوء ، وعشير السوء ، وجليس
السوء . فإن ذلك مما لا يكاد يُخطئك

وَأَعْلَمْ أَنَّ الصبر صبران : صبر المرء على ما يكره ، وصبره
عما يُحب

والصبر على المكروه أكبرهما ^١ ، وأشبههما أن يكون
صاحبه مضطراً

وَأَعْلَمْ أَنَّ اللئام أصبر أجساداً ، وأن الكرام هم أصبر
نفوساً

وليس الصبر الممدوح بأن يكون جِلْدُ الرجل
وَقَاحاً ^٢ على الضرب ، أو رجلاه قويّة على المشي ، أو يده قويّة

١ و يروي : أكثرهما ٢ أي فيه صلابة وكثرة احتمال

على العمل . فأنما هذا من صفات الحمير

ولكن الصبر الممدوح أن يكون للنفس غلواً ،
والأمور مُحْتَمِلاً ، وفي الضراء متجمللاً ،
والحفاظ مرتبطاً ، وللحزم مؤثراً ، وللهمى تاركاً ،
والمشقة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفاً ،
والشهوات مؤطناً ، وللبصيرة بعزمه منفذاً .

مطب

(٥٩)

(في ترغيب النفس في العلم وبيان الاتع منه)

حبيب إلى نفسك العلم حتى تلزمه وتألفه ، ويكون هو
لهوك ولذتك وسلوتك وتعلُّك وشهوتك
وأعلم أن العلم علمان : علم للمنافع ، وعلم لتذكية
العقول

١ من التجميل وهو التزين يريد أنه لا يذل ولا يتخضع ولا يستكين
٢ الحفاظ : الغضب والاسم الحفيظة ٣ من الارتباط وهو تسكين
النفس وتثبيتها ٤ يقال وطن نفسه على الأمر توطئنا : ظلها ومهدا لنفسه
٥ ممضياً ، من اتند الأمر أو القول : أمضاه وأبرمه ٦ تعلل بالأمر : تشاغل
وبالمرأة : تلوى ، وعمله بطعام وغيره : شغله به ، واتمله والملافة بالضم : ما يتل به
٧ من الذكاء وهو سرعة الفهم

وأَفْشَى الْعُلَمَاءِ وَأَجْدَاهَا^١ أَنْ يَنْشَطَ لَهُ صَاحِبُهُ مِنْ
غَيْرِ أَنْ يُحْضَ عَلَيْهِ عِلْمُ الْمَنَافِعِ . وَالْعِلْمُ الَّذِي هُوَ ذِكَا الْعَقُولِ
وَصِقَالُهَا وَجَلَالُهَا فَضِيلَةٌ مَنَزَلَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الْفَضِيلَةِ وَالْأَلْبَابِ

مَطْلَبٌ

(٦٠)

(فِي أَقْسَامِ السَّخَاءِ وَتَحْيِيْبِ النَّفْسِ إِلَيْهِ)

عَوِّذْ نَفْسَكَ السَّخَاءَ^٢

وَأَعْلَمْ أَنَّهُ سَخَا أَنْ : سَخَاوَةُ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ ،

وَسَخَاوَتُهُ^٣ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ

وَسَخَاوَةُ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَكْثَرُهَا وَأَقْرَبُهَا مِنْ

أَنْ تَدْخُلَ فِيهِ الْمَفَاخِرَةُ . وَتَرْكُهُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَكْثَرُ فِي

التَّكْرُمِ وَأَبْرَأُ مِنَ الدَّنَسِ وَأَنْزَهُ

فَإِنْ هُوَ جَمْعُهُمَا فَبِذَلٍّ وَعَفٍّ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْجُودَ وَالْكَرَمَ

١ أَكْثَرُهَا ٢ الْجُودُ وَالْكَرَمُ ٣ يُقَالُ سَخَتْ نَفْسِي مِنْ كَذَا إِذَا تَرَكَتُهُ

عَنْ رَغْبَةِ وَمُطَاوَعَةٍ

(٦١)

مطب

(في ذم الحسد وذكر ما ينجي منه)

ليكن مما تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا
تكون جسوداً

فإن الحسد^١ خلق^٢ لئيم^٣ . ومن لوئمه أنه موكل^٤ بالأذى
فالأذى من الأقارب والأكفء والمعارف والخطاء والإخوان
فليكن ما تعامل^٥ به الحسد أن تعلم أن خير ما تكون^٦
حين تكون مع من هو خير منك ، وأن غنما حسنا لك أن
يكون عشيرك وخليطك أفضل منك في العلم ، فتقتبس من
علمه ، وأفضل منك في القوة ، فيدفع عنك بقوته ، وأفضل
منك في المال ، فتفيد^٧ من ماله ، وأفضل منك في الجاه ،
فتصيب حاجتك بجاهه ، وأفضل منك في الدين ، فتزداد
صلاحاً بصلاحه

١ هو تمنى أن تتحول نعمة الحسود وفضيلته إلى الحاسد أو يسلبها
٢ ملازم ٣ لعله يريد فليكن ما تقابل به الحسد، أو تعالج الخوان كانت هذه
الكلمة مستعملة في عرف الأمصار بمعنى التصرف من بيع ونحوه ولم تكن
في استعمال العرب ٤ أفاده واستفاده وتفيده بمعنى واحد وهو اقتناه

طَبْطَبْ

(٦٢)

(في التحذير من أن تكشف عدوك أو حاسدك بدخيلة نفسك)
 ليكن عما تنظر فيه من أمر عدوك وحاسدك أن تعلم أنه
 لا ينفعك أن تخبر عدوك وحاسدك أنك له عدو ، فتندبره
 بنفسك ، وتؤذنه بمحربك قبل الإعداد والفرصة ، فتحمله على
 التساخ لك ، وتوقد ناره عليك

واعلم أنه أعظم لخطرِكَ أن يرى عدوك أنك لا تتخذه
 عدواً . فإن ذلك غيرة له وسبيل لك إلى القدرة عليه . فإن
 أنت قدرت واستطعت اغتفار العداوة عن أن تكفى بها
 فهناك استكملت عظيم الخطر

طَبْطَبْ

(٦٣)

(في مكافأة العدو وبيان الحيلة في تقريب الناس عنه)
 إن كنت مكافئاً بالعداوة والضرر فأياك أن تكفى
 عداوة السر بعداوة العلانية . وعداوة الخاصة بعداوة العامة

فإنَّ ذلك هو الظلم

وأعلم مع ذلك أنه ليس كل العداوة والضرر يكافأ بمثله:
كالخيانة لا تكافأ بالخيانة. والسَّرقة لا تكافأ بالسَّرقة
ومن الحيلة في أمرك مع عدوك أن تصادق أصدقاءه
وتوأخي إخوانه. فتدخل بينه وبينهم في سبيل الشقاق والتلاحي^١
والتجافي حتى ينتهي ذلك بهم إلى القطيعة والعداوة له. فإنه
ليس رجل ذو طَرَق^٢ يمتنع من مؤاخاتك إذا ألتمست ذلك
منه. وإن كان إخوان عدوك غير ذوي طَرَق. فلا
عدوك

طَبَقُ

(٦٤)

(في الخوض على الوصول الى مناب العدو وكتماها عنه)

لا تدع - مع السكوت عن شتم عدوك - إحصاء^٣
مثالبه وممايبه ومعايره^٤ وأتباع عوراته. حتى لا يشذ عنك

١ التلاحي: التنازع ويقال: لا حام ملاحاة: نازعه، والتجافي من قولك: تجافى
فلان: لم يلزم مكانه ٢ الطرق بالفتح: ضيف العقل ٣ العدد والحفظ ومنه تقول
أحصى فلان كذا: عدده وحفظه وعقله ٤ الممايب: وأتباع العورات: تطالبها واستقصاؤها

من ذلك صغير ولا كبير ، من غير أن تشيع ذلك عليه ، فيتقيد
به ، ويستعد له . ولا تذكره في غير موضعه ، فتكون كاستعراض
الهواء بنبيله^١ قبل إمكان الرمي

ولا تتخذن اللعن والشتن على عدوك سلاحاً ، فإنه لا يجرح
في نفس ولا منزلة ولا مال ولا دين

مطلب

(٦٥)

(في الحظ على كتمان دهائك عن الناس)

إن أردت أن تكون داهياً^٢ فلا تحبن^٣ أن تسمى
داهياً . فإنه من عرف بالدهاء خاتل^٤ علانية ، وحذره^٥
الناس^٦ ، حتى يمتنع منه الضعيف ، ويتعرض له القوي^٧
وإن من إرب^٨ الأريب^٩ دفن^{١٠} إربه ما استطاع حتى
يعرف بالمساحة في الخلية والاستقامة في الطريقة

ومن إربه ألا يوارب^{١١} العاقل المستقيم الطريقة والذي

١ الذيل بفتح النون وسكون الباء الموحد : هي السهام لا واحد لها والجمع
نبال ٢ من الدهى وهو الفكر وجودة الرأي وهو الدهاء أيضاً
٣ خادع ٤ أي احتزوا منه ٥ الأرب بكسر الهمزة : الدهاء والعقل
٦ أي ستره ومواراته ٧ من المواربة : المداواة والمخاطلة

يطلع على غامض إربه ، فيمقته عليه
 وإن أردت السلامة فأشعر قلبك الهيبة^١ للأمور ، من
 غير أن تظهر منك الهيبة ، فتفطنهم بنفسك وتجرّتهم عليك
 وتدعو إليك منهم كل الذي تهاب
 فأشعب^٢ لمدارة ذلك من كتمان الهيبة وإظهار الجرأة^٣
 والتهاون طائفة^٤ من رأيك

وإن ابتليت بمحاربة عدوك فحالف^٥ هذه الطريقة
 التي وصفت لك من استشعار الهيبة وإظهار الجرأة والتهاون ،
 وعليك بالحيذر والجد في أمرك ، والجرأة في قلبك ، حتى تملأ
 قلبك جرأة^٦ ويستفرغ عملك الحيذر

طَبْ

(٦٦)

(في أحوال الإعداء وبيان السبل التي تصل بك إلى قهرهم والغلبة عليهم)
 أعلم أن من عدوك من يعمل في هلاكك ، ومنهم من

١ الهيبة : الخافة والتفبه ٢ أي فاجم ٣ والمفعول هو قوله في آخر
 الجملة : طائفة من رأيك ٤ الشجاعة والاقدام ٥ والتهاون : الاستخفاف وعدم
 المبالاة ٦ الطائفة من الشيء : القطعة منه وما هنا على الجواز والسمة
 ٥ أي التزم هذه الطريقة ولا تبدل عنها

يعمل في مصالحك . ومنهم من يعمل في البعد منك

فأعرفهم على منازلهم

ومن أقوى القوة لك على عدوك . واعز أنصارك في

الغلبة له أن تُحصي على نفسك العيوب والعورات كما تحصيها

على عدوك . وتنظر عند كل عيب تراه أو تسمعه لأحد من

الناس : هل قارفت ذلك العيب أو ما شاكاله ؟ أو

سلمت منه

فإن كنت قارفت شيئاً منه . جعلته مما تُحصي على

نفسك . حتى إذا أحصيت ذلك كله فكأثر^٢ عدوك

بإصلاح نفسك وعثراتك^٣ ، وتحصين عوراتك وإحراز

مقاتلك

وخذ نفسك بذلك مُنسياً ومُصنِجاً

فإذا آنت منها^٤ دفعاً له ونهاوناً به^٥ فأعد نفسك

١ أي أتيت مثله وارتكبته ٢ المسكثرة : المغالبة ٣ جمع عثرة وهي

هنا : الزلة والسقوط في الائم ٤ أي أبصرت وأحسست من نفسك ٥ الضبران

في كالمى (له . به) يعودان على احصاء الانسان عيوبه

عاجزاً ضائعاً ، خائباً ، مُعَوِّراً لعدوك ، مُمكناً له من رميك

طَبْ

(٦٧)

(في دواء ما يستعصى عليك اصلاحه من أدواء نفسك)

وإن حصل من عيوبك وعوراتك ما لا تقدر على
إصلاحه من ذنبٍ مضى لك ، أو أمرٍ يعيبك عند الناس ولا
تراه أنت عيباً فأحفظ ذلك وأجعله نصبَ عينك ولا تقل :
وما عسى يقول في القائل ! فاعلم أن عدوك مُريدك بذلك .
فلا تفعل عن التهيؤ له بحيلتك فيه سرا وعلا نية . وعن الإعداد
لقوتك وحجتك من نسبك ومثالب آبائك أو عيب إخوانك
وأخذائك

فأما الباطل فلا ترُوعَنَّ به قلبك ولا تستعِدَّنْ له ولا
تشتغلنَّ بشيء من أمره . فإنه لا يهولك ما لم يقع . وما إن
وقع أضمحل

١ من أعور الفارس : إذا بدا فيه موضع خلل للضرب ٢ يقال مكنت فلانا
من الشيء وأمكنته إذا جعلت له سلطانا عليه وقدرة فتتمكن منه ٣ أي الغاية
التي يتجه إليها نظرك

(٦٨)

مطلب

(في أن ما في نفسك تظهر آثاره عليك إذا فوجئت به)
 وأعلم أنه قلما ^١ بدية^١ أحد بشيء يعرفه من نفسه - وقد
 كان يطمع في إخفائه عن الناس - فيعييره^٢ به معييره^٣ عند
 السلطان أو غيره ، إلا كاد يشهد به عليه وجهه وعينه ولسانه :
 للذي يبدو منه عند ذلك ، والذي يكون من أنكساره وفتوره
 عند تلك البديهة

فاحذر هذه وتصنع لها ، وخذ أهبتك لبغتها^٤ ، وتقدم
 في أخذ العتاد لنفيها

(٦٩)

مطلب

(في ذم الغرام بالنساء والتحذير منه)
 أعلم أن من أوقع^١ الأمور في الدين وأنها كلها للجسد

١. بدية بامر : استقبله به مفاجأة ٢. يقال عبرت فلانا كذا : إذا نسبته إليه
 وقبحته عليه ، ولا يجوز أن تقول عبرته بكذا لأن المستعمل في كلامهم عبرته
 الأمر متعديا بنفسه . بخلاف الصباح ٣. جمع بغته وهي الفجأة ٤. هذا اللفظ
 مستعار من وقعة الحرب وهي الصدمة بعد الصدمة والاسم الواقعة والواقعة

وَأَتْلَفَ الْمَالُ وَأَقْتَلَمَ الْعَقْلُ وَأَزْرَاهَا لِلْمُرُوءَةِ وَأَسْرَعَهَا فِي ذَهَابِ
الْجَلَالَةِ وَالْوَقَارِ الْغَرَامُ^٢ بِالنِّسَاءِ

وَمِنَ الْبَلَاءِ عَلَى الْمُغْرَمِ بِهِنَّ أَنَّهُ لَا يَنْفَكُ يَأْجُمُ^٣ مَا عِنْدَهُ
وَتَطْمَحُ^٤ عَيْنَاهُ إِلَى مَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ
وَإِنَّمَا النِّسَاءُ أَشْبَاهُ

وَمَا يَتَزَيَّنُّ فِي الْعَيُونِ وَالْقُلُوبِ مِنْ فَضْلٍ مَجْهُولَاتِهِنَّ عَلَى
مَعْرُوفَاتِهِنَّ بَاطِلٌ وَخُدْعَةٌ . بَلْ كَثِيرٌ مِمَّا يَرْغَبُ عَنْهُ الرَّائِبُ
مِمَّا عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِمَّا تَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْهُنَّ

وَإِنَّمَا الْمُرْتَغِبُ^٥ عَمَّا فِي رَحْلِهِ مِنْهُنَّ إِلَى مَا فِي رِحَالِ
النَّاسِ كَالْمُرْتَغِبِ عَنِ طَعَامِ بَيْتِهِ إِلَى مَا فِي بَيْتِ النَّاسِ : بَلْ
النِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ أَشْبَهُ مِنَ الطَّعَامِ بِالطَّعَامِ ، وَمَا فِي رِحَالِ النَّاسِ مِنَ
الْإِطْعَمَةِ أَشَدُّ تَفَاضُلًا وَتَفَاوُتًا مِمَّا فِي رِحَالِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ^٦

١ من قولهم ذرى عليه : نقصه وعابه . والمروءة : آداب تفسانية تحمل الإنسان
على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجمل العادات ٢ الولوع بالشئ
والاستهتار به ٣ يكره وبابه ضرب ٤ يقال طمح بصره إلى كذا : استشرفه

٥ يقال رغب في الشئ رغبة أرادته كارتغب ورغب عنه لم يردده

٦ كتب الشنقيطي بخطه ازاء هذا الموضع ما نصه :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كاه انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر

ومن العَجَب أن الرجل الذي لا بأسَ بِلَيْسِه ورأيه يرى المرأة من بعيد متلففةً في ثيابها، فيصوِّرُ لها في قلبه الحسنَ والجمالَ حتى تعلقَ بها نفسه من غيرِ رُؤية ولا خَبَرٍ مُخْبِرٍ. ثمَّ لعلَّه يهجم منها على أقبح القُبْحِ وأذمِّ الدَّمَامَةِ، فلا يعظه^١ ذلك ولا يقطعُه عن أمثالها. ولا يزال مشغولاً بما لم يذُقْ، حتى لو لم يبقَ في الأرض غيرُ امرأةٍ واحدةٍ، لظنَّ أنَّ لها شأنًا غيرَ شأنِ ما ذاق

وهذا هو الحُمُقُ والشَّقَاءُ والسَفَهُ

ومن لم يحمْ نفسه ويطلقها ويحلِّثها^٢ عن الطعام والشراب والنساء في بعضِ ساعاتِ شهوته وقُدْرته، كان أيسرَ ما يصيبه من وبالٍ ذلك أنقطاعُ تلكِ اللذاتِ عنه بمحمودِ نارِ شهوته وضعفِ حواملِ^٣ جسده. وقلَّ من تجدُّه إلا مخادِعاً لنفسه في أمرِ جسده عندَ الطعام والشراب والحمية^٤ والدواء، وفي

١ أي لا يكفه ٢ من قولك شعفت بكذا : اذا غشى الى قلبك ووصل الى شعفته ٣ يطردها ويمنعها ٤ الارجل، ومن القدم والذراع : عصيها ، الواحدة حاملة ٥ بالسكر ما حشي من شئ

أمر مروءته عند الأهواء والشهوات ، وفي أمر دينه عند
الرّية والشبهة والطمع

مطلب

(٧٥)

(فيما يدعو الى تعظيمك وتوقيرك ودوام مجدك وشرفك)

إن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك في كل
مجلس ، ومقام ، ومقال ، ورأي ، وفعل ، فافعل . فإن رفع الناس
إياك فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك ، وتقريبهم إياك إلى
المجلس الذي تباعدت منه ، وتعظيمهم من أمرك ما لم تعظم ،
وتزيينهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تزين هو الجمال
لا يُعجبك العالم ما لم يكن عالما بموضع ما يعلم ، ولا
العامل إذا جهل موضع ما يعمل

وإن غلبت على الكلام وقتاً فلا تُنابن على السكوت !
فإنه لعله يكون أشدهما لك زينة ، وأجلهما إليك للمودة

١ الحسن في الحاق والحق . وكتب الشنيطي بخطه أزاعمد من أمخته . انصه :

كن كاملاً وارض بصف النعال ولا تكن عدواً بغير الكمال
فإن تصدرت بلا آلة صيرت ذاك الصدر صف النعال

وأبقاها للمهابة ، وأتفاهما للحسد

(١٧٩)

طَبْطَبْ

(في ذم المراء والتحذير منه)

احذر المراء^١ وأغربه^٢ . ولا يمنعك حذر المراء من

حسن المناظرة والمجادلة

وأعلم أن المماري هو الذي يريد أن يتعلم من صاحبه ،
ولا يرجو أن يتعلم منه صاحبه . فإن زعم زاعم أنه مجادل^٣
في الباطل عن الحق ، فإن المجادل - وإن كان ثابت الحجة
ظاهر البينة حاضر الذهن - فإنه يخاصم إلى غير قاض ، وإنما قاضيه
الذي لا يعدل بالخصومة إلا إليه عدل صاحبه وعقله . فإن آنس
أو رجا عند صاحبه عدلا يقضى به على نفسه فقد أصاب وجه
أمره . وإن تكلم على غير ذلك كان مماريا

وإن استطعت ألا تخبر أخاك عن ذات^٤ نفسك بشيء

١ هو الجدال مما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ٢ أي تباعده
وأبعده ٣ ذات النفس : عبارة عما تخفيه وتضمه فيها

إلا وأنت مُحْتَجِنٌ^١ عنه بعض ذلك آلتماساً لفضل الفعل على القول ، واستعداداً لتقصير فعل - إن قصر - فافعل
وأعلم أن فضل الفعل على القول زينة ، وفضل القول على الفعل هُجْنَةٌ^٢ وأن إحكام هذه الخلقة من غرائب الخلال.

مطبوع

(٧٢)

(في ان لا راحة من كثرة الاعمال الا بالفراغ منها)

إذا تراكمت عليك الأعمال فلا تلتبس الروح^٣ في مدافعتها ، بالروغان منها. فإنه لا راحة لك إلا في إصدارها .
وإن الصبر عليها هو الذي يخففها عنك ، والضجر هو الذي يراكمها عليك

فتعهد من ذلك في نفسك خصلة : قد رأيتها تعترى بعض أصحاب الأعمال . وذلك أن الرجل يكون في أمر من أمره ، فيترد عليه شغل آخر ، أو يأتيه شغل من الناس يكره إتيانه

١ والمراد أن يحبس عنه بعض ذلك ويكتمه : من قولهم احتجن فلان المال :

ضمه اليه واحتواه ٢ بالضم هي من الكلام ما يعيبه ٣ أي الراحة

٤ تمهلها الى يوم بعد يوم • الانصراف عنها والفراغ منها

فَيَكْذِرُ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ تَكْذِيرًا يُفْسِدُ مَا كَانَ فِيهِ وَمَا وَرَدَ عَلَيْهِ ،
 حَتَّى لَا يُحْكِمَ وَاحِدًا مِنْهُمَا . فَاذَا وَرَدَ عَلَيْكَ مِثْلُ ذَلِكَ
 فَلْيَكُنْ مَعَكَ رَأْيُكَ وَعَقْلُكَ الْإِذَانِ بِهِمَا تَخْتَارُ الْأُمُورَ ، ثُمَّ
 اخْتَرِ أَوْلَى الْأَمْرَيْنِ بِشِفَاكَ ، فَاشْتَغِلْ بِهِ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْهُ .
 وَلَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكَ فَوْتُ مَا فَاتَ وَتَأْخِيرُ مَا تَأَخَّرَ إِذَا أَعْمَلْتَ
 الرَّأْيَ الْمُعْمَلَهُ وَجَعَلْتَ شِفَاكَ فِي حَقِّهِ ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِي كُلِّ
 شُغْلٍ غَايَةً تَرْجُو الْقُوَّةَ وَالْتَّامَ عَلَيْهَا

مَطْلَبُ

(٧٣)

(فِي ذِمِّ تَجَاوُزِ الْحَدِّ)

إِعلم أَنَّا إِن جَاوَزْتَ الْغَايَةَ فِي الْعِبَادَةِ صِرْتَ إِلَى
 التَّقْصِيرِ ، وَإِن جَاوَزْتَهَا فِي حَمْلِ الْعِلْمِ لَحِقْتَ بِالْجَهَالِ ، وَإِن
 جَاوَزْتَهَا فِي تَسْكَفٍ رَضَى النَّاسُ وَالْخَفَّةُ مَعَهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ كُنْتَ
 الْمُحْسَرُ الْمُضِيعُ^١

وَاعْلَمْ أَنَّ بَعْضَ الْمَعْطِيَةِ لُؤْمٌ ، وَبَعْضُ السَّلَاطَةِ غَمٌّ ،

١ من التحصيل وهو الإيقاع في الخسارة . والمضيع : يريد به أن يكون بدار ضياع

وهلاك ٢ حدة اللسان وشدته

وبعض البيان عيٍّ ، وبعض الظلم جهلٌ . فإن استطعت ألا
يكون عطاؤك جوراً ، ولا بيانك هذراً^١ ، ولا علمك وبالاً فافعل

طلب

(٧٤)

(في الحرص على حفظ ما يروىك ويعجب غيرك)

اعلم أنه ستمرُّ عليك أحاديثٌ تُعجبك : إما مליحة^٢

وإما رائحة

فإذا أعجبته كنت خائفاً أن تحفظها ، فإن الحفظ موكَّلٌ

بما ملأَ وراعٍ . وستحرصُ على أن تعجبَ منها الأقوامُ . فإن

الحرصُ على التعجب من شأن الناس . وليس كلُّ مُعجبٍ لك

مُعجباً لغيرك

فإذا نشرت ذلك المرة والمرة^٣ ، فلم تره وقعَ من

السامعين موقعةً منك فأنزجرت عن العودة . فإن العجب من

غير عجيب سيخف^٤ شديد^٥

وقد رأينا من الناس من تعلق بالشيء ولا يقلع عنه

١ الهذر سقط الكلام ٢ السخف : رقة العقل ونقصانه

وعن الحديث به ، ولا يمنعه قلة قبول أصحابه له من أن يعود
إليه ثم يعود

ثم أنظر الأخبار الرائعة فتحفظ منها . فإن الإنسان
من شأنه الحرص على الأخبار ، لا سيما ما يرتاع الناس له .
فأكثر الناس من يحدث بما سمع ، ولا يبالي ممن سمع . وذلك
مفسدة للصدق ومزلة بالمرؤعة

فإن استطعت ألا تخبر بشيء إلا وأنت به مصدق
(ولا يكون تصديقك إلا برهان) فافعل . ولا تقل كما يقول
السفهاء : أخبر بما سمعت .

فإن الكذب أكثر ما أنت سامع ، وإن السفهاء
أكثر من هو قائل . وإنك إن صرت للأحاديث وأعيانها
وحاملا كان ما تعي وتحمل عن العامة أكثر مما يخرع
المخترع بأضعاف

١ من الحفظ وهو استظهار الشيء واختار هذه الصيغة لينبه على كثرة الحفظ
من ذلك النوع وتفسير هذه الكلمة بالاحتراز والتحرز ناب عن السياق
٢ هذا تركيب كالكلمة الواحدة ، ويساق لترجيح ما بعده على ما قبله فيكون
كالخروج عن مساواته إلى التفضيل

(٧٥)

طَبْ

(في العفو عن الناس وعدم مجازاة السفية)

أَنْظِرْ مَنْ صَاحَبْتَ مِنَ النَّاسِ : مَنْ ذِي فَضْلٍ عَلَيْكَ
بِسُلْطَانٍ أَوْ مَنْزِلَةٍ ، أَوْ مَنْ دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْإِكْفَاءِ وَالْخُلَاطَاءِ
وَالْإِخْوَانِ ، فَوَطِّنْ نَفْسَكَ فِي صُحْبَتِهِ عَلَى أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُ الْعَفْوَ
وَتَسْخُو نَفْسُكَ عَمَّا آعْتَاصَ^١ عَلَيْكَ مِمَّا قَبْلَهُ ، غَيْرَ مُعَاتِبٍ
وَلَا مُسْتَبْطِئٍ وَلَا مُسْتَزِيدٍ . فَإِنَّ الْمَعَاتِبَةَ مَقْطَعَةٌ لِلْوُدِّ ، وَإِنَّ
الْأَسْتِزَادَةَ مِنَ الْجَشَعِ^٢ ، وَإِنَّ الرِّضَا بِالْعَفْوِ وَالْمَسَاحَةَ فِي الْخُلُقِ
مُقَرَّبٌ لَكَ كُلُّ مَا تَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُكَ ، مَعَ بَقَاءِ الْعِرْضِ وَالْمُودَّةِ
وَالْمُرُوءَةِ .

وَاعْلَمْ أَنَّكَ سَتُبَلَى مِنْ أَقْوَامٍ بِسَفَاهَةٍ ، وَأَنَّ سَفَاهَةَ السَّفِيهِ
سَيُطْلِعُ لَهُ مِنْكَ حَقْدًا . فَإِنْ عَارَضَتْهُ أَوْ كَافَأَتْهُ بِالسَّفَاهَةِ
فَكَأَنَّكَ قَدْ رَضِيتَ مَا أَتَى بِهِ ، فَأُحِبُّ أَنْ تَحْتَذِيَ عَلَى
مِثَالِهِ . فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَكَ مَذْمُومًا فَحَقِّقْ ذَمَّكَ إِيَّاهُ

١ أى ما يصعب عليك استخراج معناه ٢ أشد الحرص وأسوأه

بترك معارضته . فأما أن تدمه وتمثله^١ ، فليس ذلك لك

سداد^٢

مطب

(٧٦)

(لا تصاحب أحدا من الناس إلا بالمرءة وإن كان ذا دالة عليك)

لا تصاحب أحدا (وإن استأنست به أخا ذا قرابة أو

أخا ذا مودة) ولا والدا ولا ولدا إلا بمرءة ، فإن كثيرا

من أهل المرءة قد يحملهم الاسترسال والتبذل على أن

يصحبوا كثيرا من الخلقاء بالادل والهاون والتبذل

ومن فقد من صاحبه صفة المرءة ووقارها وجلالها

أحدث ذلك له في قلبه رقة شأن وسخف منزلة

ولا تلتبس غلبة صاحبك والظفر عليه عند كل كلمة

ورأي . ولا تجترئن على تقريره بظفرك إذا استبان ، وحجتك

عليه إذا وضحت

١ يقال امثل المثال : هذا حذوه وصنع مثيله ٢ السداد : الصواب من

القول والعمل

فَإِنْ أَقْوَامًا قَدْ يَحْمِلُهُمْ حُبُّ الْغَلَبَةِ وَسَفَهُُ الرِّأْيِ فِي ذَلِكَ
عَلَى أَنْ يَتَعَقَّبُوا^١ الْكَلِمَةَ بِمَا تَنْشِي^٢، فَيَلْتَمِسُوا فِيهَا الْحُجَّةَ، ثُمَّ
يَسْتَطِيلُوا^٣ بِهَا عَلَى الْأَصْحَابِ. وَذَلِكَ ضَعْفٌ فِي الْعَقْلِ وَلُؤْمٌ
فِي الْأَخْلَاقِ

مُطَبَّحٌ

(٧٧)

(فِي التَّحْذِيرِ مِنْ أَنْ تَخْذَعُ بِإِكْرَامِ مَنْ يَكْرَمُكَ لِمَا أَوْ مَنَزَلَةٍ)
لَا يُعْجِبَنَّكَ إِكْرَامُ مَنْ يَكْرَمُكَ لِمَنَزَلَةٍ أَوْ سُلْطَانٍ، فَإِنَّ
السُّلْطَانَ أَوْشَكَ^٣ أُمُورَ الدُّنْيَا زَوَالًا. وَلَا يُعْجِبَنَّكَ إِكْرَامُ
مَنْ يَكْرَمُكَ لِلْمَالِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَلَوُّ السُّلْطَانُ فِي سُرْعَةِ
الزَّوَالِ. وَلَا يُعْجِبَنَّكَ إِكْرَامُهُمْ إِيَّاكَ لِلنَّسَبِ، فَإِنَّ الْأَنْسَابَ
أَقْلُ مَنَاقِبِ الْخَيْرِ غَنَاءً^٤ عَنْ أَهْلِهَا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا
وَلَكِنْ إِذَا أُكْرِمْتَ عَلَى دِينٍ أَوْ مُرُوءَةٍ فَذَلِكَ

١ تعقبه : أَخَذَهُ بِذَنْبٍ وَتَعَقَّبَهُ طَلَبَ عَوْرَتَهُ أَوْ عَتْرَتَهُ فَمَعْنَى قَوْلِهِ يَتَعَقَّبُوا الْكَلِمَةَ
يَعْتَدُوهَا عَلَيْهِ ذَنْبًا وَعَوْرَةً ٢ يقال استطال فلان على فلان : قَهَرَهُ وَغَلَبَهُ وَتَطَاوَلَ
عَلَيْهِ كَذَلِكَ ٣ من الوشك وهو الإسراع يقال وشك الأمر : أسرع ٤ يقال
هذا الأمر أغنى غنى غناء فلان ناب عنه : وَأَجْزَأُ بجزء

فليُعجبك : فإن المروءة لا تزايلك^١ في الدنيا : وإن الدين
لا يزايالك في الآخرة

طلب

(٧٨)

(في ذم الجبن والحرس)

اعلم أن الجبن مقلّة^٢ ، وأن الحرس محرمة^٣
فأنظر فيما رأيت أو سمعت : أمّن قُتِلَ في القتال مُقبلاً
أكثر؟ أم من قُتِلَ مُدبراً؟ وأنظر أمّن يطلب إليك بالإجمال
والتكريم أحق أن تسخو نفسك له بطلبته؟ أم من يطلب إليك
بالشره^٤ والزيغ^٥ ؟

واعلم أنه ليس كل من كان لك فيه هوى ، فذكره
ذا كبر بسوء وذكرته أنت بخير ينفعه ذلك . بل عسى
أن يضره

فلا يستخفّنك ذكر أحد من صديقك أو عدوك إلا
في مواطن دفع أو محاماة^٦ ، فإن صديقك - إذا وثق بك

١ من التزاييل وهو التفرق ٢ الشره : غلبة الحرس ٣ الجور عن الحق

٤ يقال حاميت عن فلان محاماة : منعت عنه ودافعت

في مواطن المحاماة - لم يحفل^١ بما تركت مما سوى ذلك . ولم
يكن له عليك سبيل^٢ لائمه

وإن من أحزم الرأي لك في أمر عدوك ألا تذكره
إلا حيث تضره . وألا تعد^٣ يسير الضرر له ضررا

طلب

(٧٩)

(في الاحتراس مما يعتري الاخلاق الكريمة من الافات)

اعلم أن الرجل قد يكون حليما ، فيحمله الحرص^٤ على أن
يقول الناس جليدا . والخافة^٥ أن يقال مهين^٦ على أن يتكلف
الجهل . وقد يكون الرجل زميتا^٧ فيحمله الحرص على أن يقال
أسن^٨ . والخافة^٩ من أن يقال عي^{١٠} على أن يقول في غير موضعه
فيكون هذرا^{١١}

فأعرف هذا وأشباهه . واحترس منه كله

١ لم يبيل تقول ما حفلت بكذا وما احتفلت به . ما باليت ٢ الزميت :

الوقور . والزميت : الكثير الوقار ٣ أي فصيح ٤ كثير الكلام في

الخطا والباطل

(٨٠)

مطلب

(في مخالفة ما يكون أقرب الى هواك)

إذا بدَّهَكَ^١ أمران لا تدري : أيُّهما أصوبُ فأنظرُ :
 أيُّهما أقربُ إلى هواك نخالفهُ ، فإنَّ أكثرَ الصواب في
 خلاف الهوى

وليجتمع في قلبك الافتقارُ إلى الناس والاستغناء عنهم
 وليكن افتقارك إليهم في لينِ كلمتك لهم ، وحسنِ بشرِك بهم
 وليكن استغناؤك عنهم في نزاهة عِرْضِكَ وبقاء عِرْزِكَ

(٨١)

مطلب

(في آداب المجالسة)

لا تُجالسَنَّ أمراً بغير طريقتِهِ ! فإنك إن أردت لقاء
 الجاهل بالعلم ، والجافي^٢ بالفقهِ والفيّ بالبيان لم تزد على
 أن تُضيّعَ علمك وتؤذي جليستك بحمّلك عليه ثقل ما لا يعرفُ

١ يقال بدَّهه بكذا : استقبله به أو بدَّاه به ، وبدَّهه أمر فجأه ٢ من الجفاء

وهو الغلظة والفظاظة والفقّه . الملم بالشيء والنهم له

وَعَمَّكَ إِيَّاهُ بِثَلِّ مَا يَنْتَمُ بِهِ الرَّجُلُ النَّصِيحُ مِنْ مَخَاطِبَةِ الْأَعْجَمِيِّ
الَّذِي لَا يَفْقَهُ عَنْهُ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِلْمٍ تَذَكُّرُهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا عَادُوهُ ،
وَنَصَبُوا^٢ لَهُ ، وَنَقَضُوا عَلَيْكَ ، وَحَرَّصُوا عَلَى أَنْ يَجْعَلُوهُ جَهْلًا ،
حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ اللُّهُوِّ وَاللَّيْبِ الَّذِي هُوَ أَخْفَى الْأَشْيَاءِ
عَلَى النَّاسِ لَيَحْضُرُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ ، فَيَثْقُلُ عَلَيْهِ وَيَقْتَمُ بِهِ
وَلَيْعَلَهُمْ صَاحِبُكَ أَنْكَ تَشْفِقُ^٣ عَلَيْهِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ وَإِيَّاكَ
إِنْ عَاشَرَكَ أَمْرًا أَوْ رَافَقَكَ أَنْ يَرَى مِنْكَ الْوُلُوعَ بِأَحَدٍ مِنْ
أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ وَأَخْدَانِهِ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَأْخُذُ مِنْ أَعْنَةِ الْقُلُوبِ
مَأْخُذًا . وَإِنْ لُطِّفَكَ بِصَاحِبِ صَاحِبِكَ أَحْسَنُ عِنْدَهُ مَوْقِعًا مِنْ
لُطْفِكَ بِهِ فِي نَفْسِهِ

وَاتَّقِ الْفَرَحَ عِنْدَ الْحَزُونِ ! وَأَعْلَمْ أَنَّهُ يَحْتَقِدُ عَلَى الْمُنْطَلِقِ^٤
وَيَشْكُرُ لِلْمُكْتَتَبِ

١ - الأعجمي . والاعجم الذي في لسانه عجمة ولكنة ٢ أي عادوه
٣ من الشفقة وهي حرص الناصح على صلاح المنصوح ٤ من انطلاق
الوجه وهو انبساطه بالبشر والسرور

اعْلَمْ أَنَّكَ سَتَسْمَعُ مِنْ جُلَسَائِكَ الرَّأْيَ وَالْحَدِيثَ تُنْكِرُهُ
وَتُسْتَجْفِيهِ وَتُسْتَشْنِعُهُ مِنَ الْمُتَحَدِّثِ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ ، فَلَا
يَكُونَنَّ مِنْكَ التَّكْذِيبُ وَلَا التَّسْخِيفُ لَشَيْءٍ مِمَّا يَأْتِي بِهِ
جُلَيْسُكَ . وَلَا يُجْرَ تَنَكُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ : إِنَّمَا حَدَّثَ عَنْ
غَيْرِهِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَرْدُودٍ عَلَيْهِ سَيَمْتَعِضُ^١ مِنْ الرَّدِّ . وَإِنْ كَانَ فِي
الْقَوْمِ مَنْ تَكْرَهُ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي قَلْبِهِ ذَلِكَ الْقَوْلُ ، لَخَطَايَا تَخَافُ أَنْ
يَعْقِدَ عَلَيْهِ ، أَوْ مَضَرَّة تَخْشَاهَا عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ
تَنْقُضَ ذَلِكَ فِي سِتْرٍ . فَيَكُونُ ذَلِكَ أَيْسَرَ لِلنَّقْضِ وَأَبْعَدَ لِلْبَغْضَةِ
ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْبَغْضَةَ خَوْفٌ ، وَأَنَّ الْمَوَدَّةَ أَمْنٌ ، فَاسْتَكَثِرْ
مِنَ الْمَوَدَّةِ صَامِتًا ، فَإِنَّ الصَّمْتَ سَيَدْعُوهَا إِلَيْكَ . وَإِذَا
نَاطَقْتَ فَنَاطِقٌ بِالْحُسْنَى ، فَإِنَّ الْمُنَاطِقَ الْحَسَنَ يَزِيدُ فِي وَدِّ
الصَّدِيقِ وَيَسْتَلُ سَخِيمَةَ الْوَعْرِ^٢ .

وَلَتَعْلَمْ أَنَّ خَفْضَ الصَّوْتِ وَسُكُونَ الرِّيحِ وَمَشْيَ الْقَصْدِ^٣
مِنْ دَوَاعِي الْمَوَدَّةِ ، إِذَا لَمْ يَخَالِطْ ذَلِكَ بَأْوَعُهُ^٤ وَلَا عَجْبُهُ . أَمَّا الْعُجْبُ

١ يَفْضُبُ وَيَشْقَى عَلَيْهِ ٢ أَيِ الْحَقْدِ وَالضَّغْنِ وَالْمَدَاوَةِ ٣ الْقَصْدُ ضِدُّ
الْإِفْرَاطِ ٤ الْبَأْوَعُ هُوَ النَّخْرُ وَالْكِبَرُ وَالتَّيَهُ

فهو من دواعي المقت والشئان^١

طلب

(٨٢)

(في بيان ان المستشار ليس بضامن وجه الصواب)

اعلم أن المستشار ليس بكفيل^٢، وأن الرأي ليس
بمضمون^٣. بل الرأي كله غرر^٤، لأن أمور الدنيا ليس شيء
منها بثقة، ولا أنه ليس من أمرها شيء يدركه الحازم إلا وقد
يدركه العاجز. بل ربما أعيال الحرمة ما أمكن العجزة. فإذا
أشار عليك صاحبك برأي، ثم لم تجد عاقبته على ما كنت
تأمل فلا تجعل ذلك عليه ديناً، ولا تلزمه لوماً وعدلاً: بأن
تقول: أنت فعلت هذا بي، وأنت أمرتني، ولولا أنت لم
أفعل، ولا جرم لا أطيعك في شيء بعدها. فان هذا كله
ضجر ولوم وخيفة

فإن كنت أنت المشير، فعمل برأيك أو تركه، فبدا

١ البغض ٢ الكفيل: الضامن يريد ان الذي يشير عليك لا يضمن النجاح

مشورته ٣ أي على غير عهدة ولا ثقة .

صوابك فلا تمنن به ولا تكثرن ذكره إن كان فيه نجاح،
ولا تلمه عليه إن كان قد استبان في تركه ضرر: بأن تقول:
ألم أقل لك: إفسل هذا، فإن هذا بجانب لأدب
الحكاماء

مطلب

(٨٣)

(في الحرص على الاستماع)

تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام . ومن
حسن الاستماع إسهال التكليم حتى ينقضي حديثه ، وقلة
التلث إلى الجواب ، والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم ،
والوعى^١ لما يقول

واعلم - فيما تكلم به صاحبك - أن مما يُجَنُّ صواب
ما يأتي به ، ويذهب بطعمه^٢ وبهجة^٣ ، ويؤري^٢ به في قبوله
عجالتك بذلك ، وقطعك حديث الرجل قبل أن يفضي إليك
بذات نفسه

١ وعى الحديث : حفظه وتدبره ٢ طعم الشيء : حلاوته أو مرارته والمراد
هنا طلاوته وبهاؤه في الاصل ٣ يقال : أؤري به الخلق : عابه

(٨٤)

مطلب

(في ان الزهد في الدنيا لا يكون مع تعذرها عليك)

إن رأيت نفسك تصاغرت إليها الدنيا . أو دعتك إلى
الزهادة فيها على حال تعذر من الدنيا عليك فلا يغرنك ذلك
من نفسك على تلك الحال ، فإنها ليست بزهادة ، ولكنها
ضجرٌ واستخذاءٌ^١ وتغيير نفس عند ما أعجزك من
الدنيا وغضب منك عليها مما التوى^٢ عليك منها . ولو تمت
على رفضها وأمسكت عن طلبها أو شككت أن ترى من
نفسك من الضجر والجزع أشد من ضجرك الأول بأضعافٍ
ولكن إذا دعتك نفسك إلى رفض الدنيا - وهي مقبلة عليك -
فأسرع إلى إجابتها

(٨٥)

مطلب

(في التحذير من الدفاع عن ذكر بنقيصة)

اعرف عوراتك . وإياك أن تعرض بأحد فيها ضارعا^٣ !

١ الاستكانة والخضوع ٢ صعب عليك اليه الوصول ٣ شامها ومائلها

وهو المبالغة في الغضب

وَإِذَا ذَكَرْتَ مِنْ أَحَدٍ خَلِيقَةً فَلَا تُنَاضِلْ عَنْهُ مُنَاضِلَةَ الْمُدَافِعِ
عَنْ نَفْسِهِ . الْمُصَغَّرُ لِمَا يَعْيبُ النَّاسُ مِنْهُ . فَتُّهُمْ بِمَثَلِهَا . وَلَا
تُلَحَّ كُلَّ الْإِلْحَاحِ . وَلَيْكُنْ مَا كَانَ مِنْكَ فِي غَيْرِ اخْتِلَاطٍ .
فَإِنَّ الْاِخْتِلَاطَ مِنْ مُحَقِّقَاتِ الرَّيْبِ

مَطْبُ

(٨٦)

(في التحذير مما يجرح قلب الجالس من الفاظ الذم والتشهير)

إِذَا كُنْتَ فِي جَمَاعَةٍ قَوْمٍ أَبَدًا فَلَا تَعْمَنْ جِيلًا مِنْ
النَّاسِ أَوْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ بِشْتَمٍ وَلَا ذَمٍّ . فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي
: لَعَلَّكَ تَتَنَاسَلُ بَعْضُ أَعْرَاضِ جُلَسَائِكَ مُخْطِئًا ، فَلَا تَأْمَنُ
مُكَافَأَتَهُمْ . أَوْ مُتَعَمِّدًا ، فَتُنْسَبَ إِلَى السَّفَةِ . وَلَا تَذُمَّنْ مَعَ
ذَلِكَ أَسْمَاءَ مِنْ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ أَوْ النِّسَاءِ : بَلَّغْ يَقُولُ : إِنْ هَذَا
لَقَبِيحٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ . فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : لَعَلَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُوَافِقٍ
لِبَعْضِ جُلَسَائِكَ ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ بَعْضُ أَسْمَاءِ الْأَهْلِيْنَ وَالْحُرِّمْ .
وَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ مِنْ هَذَا شَيْئًا ، فَكُلُّ ذَلِكَ يُجْرَحُ فِي الْقَلْبِ .
وَجُرْحُ اللِّسَانِ أَشَدُّ مِنْ جُرْحِ الْيَدِ

ومن الأَخلاق السيِّئة على كل حال مُغالبةُ الرجل على
كلامه ، والأَعراضُ فيه ، والقَطْعُ للحديث

ومن الأَخلاق التي أنت جدير بتركها - إذا حدث
الرجلُ حديثاً تعرفهُ - ألاَّ تسابقهُ إليه وتفتحه عليه وتشاركه
فيه ، حتى كأنَّكَ تُظهر للناس بأنك تريد أن يعلموا أنك
تعلمُ مثلَ الذي يعلم . وما عليك أن تهتبه بذلك
وتفردَهُ به

وهذا الباب من أبواب البخل . وأبوابه الغامضة كثيرة



إذا كنت في قوم ليسوا ببلغاء ولا فصحاء . فدع التناول

عليهم بالبلاغة والفصاحة

واعلم أن بعضَ شدةِ الحذرِ عونٌ عليك فيما تحذر . وأن

بعضَ شدةِ الاتِّقاءِ مما يدعو إليك ما تنقي

واعلم أن الناس يخدعون أنفسهم بالتمريض والتوقيف

بالرجال في التماس مثالبهم ومساوئهم ونقيصتهم . وكل ذلك

أَيُّنُ عِنْدَ سَامِعِيهِ مِنْ وَضَحٍ^١ الصُّبْحِ . فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ ذَلِكَ
فِي غُرُورٍ . وَلَا تَجْمَلَنَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِهِ

اعْلَمْ أَنَّ مَنْ تَنَكَّبَ^٢ الْأُمُورَ مَا يُسَمَّى تَحَذُّرًا . وَمَنْ
مَا يُسَمَّى خَوْرًا^٣ . فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِحَيْنِكَ مِنْ
الْأَمْرِ قَبْلَ مَوَاقِعَتِكَ إِيَّاهُ فَأَفْعَلْ . فَإِنَّ هَذَا الْحَذَرُ . وَلَا
تَنَغْمِسَ فِيهِ ثُمَّ تَهَيِّئُهُ . فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْخَوْرُ^٤ . فَإِنَّ الْحَكِيمَ
لَا يَخْوُضُ نَهْرًا حَتَّى يَعْلَمَ مَقْدَارَ غُورِهِ

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ سُوءِ الْمَجَالَسَةِ أَنَّ الرَّجُلَ تُثْقَلُ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ :
يَرَاهَا بِصَاحِبِهِ ، فَيَكُونُ مَا يَشْتَقِي بِصَاحِبِهِ - فِي تَصْغِيرِ أَمْرِهِ
وَتَكْدِيرِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ - أَنْ يَذْكُرَ الزَّوَالَ وَالْفَنَاءَ وَالِدَوْلَ .
كَأَنَّهُ وَاعِظٌ وَقَاصٍ . فَلَا يَخْفَى ذَلِكَ عَلَى مَنْ يُعْنَى بِهِ وَلَا غَيْرِهِ .
وَلَا يُنْزَلُ قَوْلُهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَوْعِظَةِ وَالْإِبْلَاحِ . وَلَكِنْ بِمَنْزِلَةِ
الضُّجَرِ مِنَ النِّعْمَةِ - إِذَا رَأَاهَا لغيرِهِ - وَالْأَغْتَامِ بِهَا
وَالْأَسْتِرَاحَةِ إِلَى غَيْرِ رَوْحٍ

١ الوضوح محركا للبياض والضوء ٢ النباعد والمدول عنها ٣ الحذر
الاحتراز ٤ الخور والضعف

وإني مخبرك عن صاحب لي . كان من أعظم الناس في
 عيني . وكان رأس ما أعظمه في عيني صغير الدنيا في عينه :
 كان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يتشهى ما لا يجد ، ولا يكتر
 إذا وجد . وكان خارجاً من سلطان فرجه ، فلا يدعو إليه
 رية ، ولا يستخف له رأياً ولا بدناً . وكان خارجاً من سلطان
 لسانه ، فلا يقول ما لا يعلم ، ولا ينازع فيما يعلم . وكان
 خارجاً من سلطان الجهالة ، فلا يقدم أبداً إلا على ثقة بمنفعة
 كان أكثر دهره صامتاً . فإذا نطق بدأ الناطقين .
 كان يرى متضاعفاً مستضعفاً ، فإذا جاء الجِدُّ فهو الليث عاديًا
 كان لا يدخل في دعوى ، ولا يشترك في مراء ، ولا
 يذلي بحجة حتى يرى قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً
 وكان لا يلوم أحداً على ما قد يكون العذر في مثله حتى
 يعلم : ما اعتذاره

وكان لا يشكو وجعاً إلا إلى من يرجو عنده البرء .
 وكان لا يستشير صاحباً إلا من يرجو عنده النصيحة .

وكان لا يتبرّم ، ولا يتسخط ، ولا يتشهى ، ولا

يتشكى

وكان لا ينقم على الولي ، ولا يغفل عن العدو ، ولا

يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيالته وقوته

فعليك بهذه الأخلق إن أظقت - ولن تطيق - ولكن

أخذ القليل خير من ترك الجميع

واعلم أن خير طبقات أهل الدنيا طبقة أصفها لك :

من لم ترتفع عن الوضع ولم تنزع عن الرفيع

قد تم بحول الله ومشيتته طبع هذا السفر الجليل في أول ذي الحجة

من سنة ١٣٣١ - إحدى وثلاثين وثلاثمائة بعد الألف من

هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم محمد حسن نائل المرصفي

